نشأة التشيع والشيعة

ص: ٣

نشأة التشيع والشيعة بقلم الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدس سره) تحقيق وتعليق الدكتور عبد الجبار شراره دائرة معارف الفقة الاسلامى طبقا لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) مركز الغدير للدراسات الاسلامية

ص: ۶

حقوق الطبع محفوظة للناشر الكتاب : نشأة التشيع والشيعة المؤلف : الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر تحقيق : الدكتور عبد الجبار شرارة الناشر : مركز الغدير للدرسات الاسلامية الطبعة : الثانية شوال ١۴١٧ ه / ١٩٩٧ م المطبعة : قدس عدد النسخ : ٢٠٠٠

ص: ٧

مقدمة المحقق بين يدى المؤلف والكتاب : إن الامام الشهيد الصدر (رضى الله عنه) – الذى ينشر له هذا البحث – عالم ربانى ، وفقيه من أعاظم فقهاء العصر ، ومجاهد فى سبيل الله ، متفان فى سبيل الاسلام الى درجة الاستشهاد.

وهو (رضى الله عنه) كان ينبوعا متدفقا من العطاء العلمى الاصيل ، فهو إمام فد فى الدرسات الاصولية والفقهية ، وعبقرى نادر فى المنطق ومناهج البحث ، ومجدد فى الفكر الاسلامى لمواجهة التحديات الفكرية المعاصرة ، فى الفلسفة

والاقتصاد والاجتماع ، وهو بعد ذلک كله قد أسهم باطروحاته ، ونظراته ، وآرائه الاصيلة فى تأصيل المدرسة الاسلامية ، وتجديد البحوث الكلامية ، وإغناء المعرفة القرآنية ، كما أرسى دعائم منهج علمى رصين فى كل ما تناوله قلمه الشريف من موضوعات . إن الدراسة الرائدة التى بين أيدينا حول (قضية التشيع) قد

ص: ٨

نهج فيها الشهيد الصدر (رضى الله عنه) المنهج العلمى الرصين ، وأحكم فيها المنطق النزيه ، وسار فى خطواتها بعمق الخبير البصير الذى يعرف منذ البداية كيف ينقل القارى خطوة بعد خطوة بما يمليه منطق الحق.

لقد تناول الشهيد الصدر هذا الموضوع الخطير فجاء فيه على وجازته بما لم يسبقه إليه ، من قوة الحجة ومتانتها ، ورصانة العبارة ودقتها ، وحسن العرض ولطافته ، مع كثرة نكته وإشاراته التى يفطن إليها كل أديب وأريب ، ولكنها تغيب عمن لم

يمارس هذا النوع من البحوث الكلامية العميقة ، ولم يلج ميدان الحجاج والمناظرة ، ولم يعالج من قبل النصوص النبوية الشريفة ، والوقائع التاريخية.

ومع أهمية هذا البحث العميق موضوعا واسلوبا ومعالجة ، إلا أن مما يوسف له أنه لم يخرج إخراجا يليق به ، ولم يحظ بالتحقيق والتعليق بما يرشد إلى مظان الشواهد ، ويوضح الدليل فى موارد الاشارة وينبه الى مواطن الحجة حتى يتجلى فيها للقارى صدق المنطق فيطمئن إلى منطق الصدق.

إن هذا البحث – الذى بين يديک – كان فى الاصل تصديرا بقلم الشهيد الصدر (رضى الله عنه) لكتاب الدكتور عبد الله فياض الموسوم بـ " تاريخ الامامية وأسلامفهم من الشيعة " الذى صدرت طبعته الاولى فى بغداد – مطبعة أسعد – عام ١٣٩٠ ه / ١٩٧٠ م .

ثم نشر فى كتاب مستقل عام ١٣٩٧ ه . فقد نشر فى القاهرة باشراف السيد طالب الحسينى الرفاعى – دار أهل البيت – مطابع الدجوى – عادين – القاهرة ،

الطبعة الاولى عام ١٣٩٧ ه / ١٩٧٧ م ، كما نشر فى العام نفسه من قبل دار التعارف للمبطوعات – بيروت.

ولكن كلتا الطبعتين لم تكونا وافتين بالغرض ، إذ لم تعتينا بالتحقيق والتدقيق ، ولم تهتما بتخريج الاحاديث وتوثيق النصوص ، فضلا عن كثرة الاخطاء المطبعة ، عى أن طبعة القاهرة قد حظيت ببعض التعليقات النافعة بقلم السيد الرفاعى ، وكانت أحسن ضبطا ، وأقل أخطاء.

هذا مع اختلاف الطبعتين فى العنوان ، فبينما صدرت طبعة القاهرة بعنوان " : التشيع ظاهرة طبيعية فى اطار الدعوة الاسلامية " .نجد أن الطبعة البيروتية صدرت بعنوان " : بحث حول الولاية. "

من هنا مست الحاجة إلى أن ينال هذا البحث ما يستحقه من عناية التحقيق والتدقيق والتعليق . وقد جهدت كل الجهد أن أضبط العبارة مستفيدا من الطبعات المذكورة ، مراعيا التحصيحات الازمة ، أما العنوان فقد استانست برأى سماحة آية الله السيد محمود الهاشمى الذى أشار على أن يكون العنوان " : نشأة التشيع والشيعة . " فكان هو العنوان الانسب.

وأخيرا فقد رأيت أن الحق بهذا البحث الاصيل للشيهد الصدر (رضى الله عنه) دراسة علمية أترسم فيها المنهج الرصين نفسه ، اعالج فيها أمرا نبهه إليه الشهيد الصدر (رضى الله عنه) ولكنه لم يبسط القول فيه – اعتمادا على ما يظهر – على

أنه مما تضافر على نقله الرواة وتداولته كتب السيرة ، وذلک هو : الاعداد الفكرى والتربوى لامامة على (عليه السلام) ، وخلافته.

ص: ١٠

عملى فى التحقيق : اولا : لم يتوفر لدى سوى ما أشرت إليه من النسخ المطبوعة ، وسوى التصدير الذى فى مقدمة كتاب الدكتور عبد الله فياض الموسوم بـ " تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة. "

ولما كانت نسخة طبعة القاهرة التى صدرت باشراف السيد طالب الرفاعى هى أضبط النسخ وأكملها ، لذلک اعتمدتها أصلا ، واستعنت بالطبعتين الاخريين ، طبعة دار التعارف البيروتية ، والطبعة فى مقدمة كتاب الدكتور فياض البغدادية ، وذلک لضبط النص ومعالجة الاخطاء أو الاشتباهات التى وقعت فى طبعة القاهرة.

ثانيا : أخرجت البحث إخراجا جديدا ، إذ ثم توزيعه على تمهيد وفصلين ، عنون الفصل الاول بـ " كيف ولد التشيع " وكما أراد المؤلف الباحث الشهيد الصدر أن يبرزه وقد وزعته على ثلاثة مباحث :
اختص المبحث الاول بما عنون بالطريق الاول وهو السلبية اى إهمال أمر الخلافة ، وقد برزت هذا العنوان طبعة القاهرة ،

وتناول المبحث الثانى الطريق الثانى وهو الايجابية ممثلة بنظام الشورى ،
وعرض المبحث الثالث الطريق الثالث : الايجابية ممثلة فى إعداد ونصب من يقود الامة.

أما الفصل الثانى فقد عنون ب " كيف وجدت الشيعة " ووزع أيضا على ثلاثة مباحث ،
كان المبحث الاول حول الاتجاهين الرئيسيين اللذين رافقا نشوء الامة ،

واختص المبحث الثانى بالكلام على المرجعية الفكرية والقيادية ،
وعرض المبحث الثالث لمسالة التشيع الروحى والتشيع السياسى.

ص: ١١

ثالثا : رجعت إلى المصادر التى أحال إليها الشهيد الصدر (رضى الله عنه) ، ووثقت النص الذى اعتمده ، مشيرا إلى الجزء والصفحة فى الموارد التى لم يذكر فيها . وقد بلغت الاحالات فى طول البحث ثلاثا وعشرين إحالة وضعت إزاءها

كلمة (الشيهد) بين قوسين كبيرين حفاظا على الاصل المكتوب بهوامشة ، وتمييزا لما من الهوامش والتعليقات التى كتبتها بقلمى.

رابعا : بالنسبة إلى النصوص التى أوردها الشهيد (رضى الله عنه) ، أو أشار إليها ، ولم يذكر المصدر قمت بتخريجها من مظانها المتعتبرة ، كما خرجت الايات القرآنية والاحاديث النبوية.

خامسا : الاراء والافكار التى نبه إليها الشهيد (رضى الله عنه) ، وثقت منها ما يحتاج إلى توثيق.

سادسا : علقت بتعليقات مناسبة على كثير من المطالب ، إما توضيحا للمطلب أو تعزيزا بالادلة والشواهد.

أرجو الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .
والحمد لله رب العالمين .
المحقق د . عبد الجبار شرارة

التمهيد جرى بعض الباحثين على دراسة التشيع بوصفه ظاهرة طارئة فى المجتمع الاسلامى ، والنظر إلى القطاع الشيعى من جسم الامة الاسلامية بصفته قطاعا تكون على مر الزمن ، نتيجة لاحداث وتطورات اجتماعية معينة ، أدت إلى تكوين فكرى

ومذهبى خاص لجزء من ذلك الجسم الكبير ، ثم اتسع ذلك الجزء بالتدريج . (١) إن هؤلاء الباحثين ، بعد أن يفترضوا ذلك ، يختلفون فى تلك الاحداث والتطورات التى أدت إلى نشوء تلك الظاهرة وولادة ذلك

❊ ❊ (هامش) ❊

(١) راجع : الصلة بين التصوف والتشيع / الدكتور كامل مصطفى الشيبى / ج / ص ١١ - ١٤ ، فقد عرض آراء كثير من الباحثين قدماء ومعاصرين حول نشأة التشيع ، وتطوره ، وذكر أيضا أن بعضهم يفرقون بين التشيع السياسى والتشيع الروحى (المذهبى) .

وراجع أيضا : إسلام بلا مذاهب / الدكتور مصطفى الشكعة / ص ١٥٣ .

وأيضا : النظريات السياسية الاسلامية / الدكتور ضياء الدين الريس / ص ٦٩ . (❊)

الجزء .
فمنهم من يفترض أن عبد الله بن سبأ (١) ونشاطه السياسى المزعوم كان هو الاساس لقيام ذلک التكتل الشيعى.

ومنهم من يرد ظاهرة التشيع إلى عهد خلافة الامام على (عليه السلام) ، وما هيأه ذلک العهد من مقام سياسى واجتماعى على مسرح الاحداث.

ومنهم من يزعم أن ظهور الشيعة يكمن فى أحداث متأخرة عن ذلک فى التسلسل التاريخى للمجتمع الاسلامى . (٢) والذى دعا – فيما أظن – كثيرا من هؤلاء الباحثين إلى هذا

❊ ❊ (هامش) ❊

(١) راجع : حركات الشيعة المتطرفين وأثرهم فى الحياة الاجتماعية للدكتور محمد جابر عبد العال : ص ١٩ ، فقد نسب هذا القول إلى بعض المؤرخين المسلمين .

ولكنه أورد أن برناردلويس وهو مستشرق معروف قد رفض ذلک . ونقل عن فلهاوزن وفريد لندر وهما من كبار الباحثين قولهما : " إن ابن سبأ هذا هو من اختلاف المتأخرين . . . " .

وقد ذكر الدكتور طه حسين فى الفتند الكبرى " ٢ / ٣٢٧ : " إن ابن سبأ هذا هو من اختلاف المتأخرين . . . " . وقد ذكر الدكتور طه حسين فى الفتنة الكبرى : ٢ / ٣٢٧ : " أن خصوم الشيعة بالغوا فى أمر ابن سبأ هذا ليشغوا على على وشيعته . . . "

وقال : " نحن لانجد لابن سبأ ذكرا فى المصادر المهمة . . . فلم يذكر فى أنساب الاشراف للبلاذرى ،

وقد ذكره الطبرى فى تأريخه عن سيف بن عمر التميمى . . . " . (وسيف هذا قال عنه ابن حباس : يروى الموضوعات ، وقالوا انه يضع الحديث ،

وقال الحاكم عنه انه اتهم بالزندقة وهو فى الروايد ساقط) .

راجع تهذيب التهذيب لابن حجر : ٤ / ٢٦٠ ،

وراجع حول اسطورة ابن سبأ للعلامة مرتضى العسكرى فى كتابه : عبد الله بن سبأ .

(٢) راجع الصلة بين التصوف والتشيع / السابق .

راجع أيضا تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة للدكتور عبد الله فياض . وكذلك إسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة : ص ١٥٢ ، وما بعدها .

وراجع : النظريات السياسية الاسلامية للدكتور ضياء الدين الريس : ص ٧٢ وما بعدها . (❊)

ص: ١٥

الافتراض والاعتقاد ، بأن " التشيع " ظاهرة طارئة فى المجتمع الاسلامى ، هو أن الشيعة لم يكونوا يمثلون فى صدر الاسلام إلا جزءا ضيئيلا من مجموع الامة الاسلامية.

فقد أوحت هذه الحقيقة شعورا بأن اللاتشيع كان هو القاعدة فى المجتمع الاسلامى ، وأن التشيع هو الاستثناء والظاهرة الطارئة التى يجب اكتشاف أسبابها من خلال تطورات المعارضة للوضع السائد.

ولكن اتخاذ الكثرة العددية والضالة النسبية أساسا لتمييز القاعدة والاستثناء أو الاصل والانشقاق ، ليس شيئا منطقيا ، فمن الخطأ إعطاء الاسلام اللاشيعى صفة الاصالة على أساس الكثرة العددية ، وأعطاء الاسلام الشيعى صفة الظاهرة الطارئة

ومفهوم الانشقاق ، على أساس القلة العددية ، فإن هذا لا يتفق مع طبيعة الانقسامات العقائدية ، إذ كثيرا ما نلاحظ انقساما عقائديا فى إطار رسالة واحدة ، يقوم على أساس الاختلاف فى تجديد بعض معالم تلك الرسالة ، وقد لا يكون القسمان

العقائديان متكافئين من الناحية العددية ولكنهما فى أصلهما معبران بدرجة واحدة عن الرسالة المختلف بشأنها ، ولا يجوز بحال من الاحوال أن نبنى تصوراتنا عن الانقسام العقائدى داخل إطار الرسالة الاسلامية إلى شيعة وغيرهم ، على الناحية العددية (١) ، كما لا يجوز أيضا أن نقرن ولادة الاطروحة

❊ ❊ (هامش) ❊

(١) نعم ليس متسقا مع المنطق ، وليس متسقا مع منطق القرآن الكريم أيضا ، فالقرآن نجده = (❊)

ص: ١٦

الشيعة ، فى إطار الرسالة الاسلامية ، بولادة كلمة " الشيعة " أو " التشيع " كمصطلح واسم خاص لفرقة محددة من المسلمين ، لان ولادة الاسماء والمصطلحات شئ ونشوء المحتوى وواقع الاتجاء والاطروحة شئ آخر ، فإذا كنا لا نجد

كلمة " الشيعة (٥) " فى اللغة السائدة فى حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أو بعد وفاته ، فلا يعنى هذا أن الاطروحة والاتجاء الشيعى لم يكن موجودا.

❊ ❊ (هامش) ❊

= (١) غالبا – إن لم يكن دائما – يذم الكثرة فى موارد كثيرة جدا ، كما نجده يمدح القلة فى موارد مثلها ، فقد جاء مثلا قوله تعالى : (. . . ولكن أكثرهم لا يشكرون) النمل / ٧٣ ،

وجاء قوله تعالى : (وقليل من عبادى الشكور) سبأ / ١٣ ،

وجاء قوله تعالى : (. . . وإن كثيرا من الناس لفاسقون) المائدة / ٤٩ ،

وجاء قوله تعالى : (اولئک المقربون ❊ فى جنات النعيم ❊ ثلة من الاولين ❊ وقليل من الاخرين) الواقعة / ١١ – ١٤ .

هذا من وجه ، ومن وجه آخر نجد القرآن الكريم ينبه فى موارد كثيرة إلى إن الذين يتبعون الحق ويتبعون الرسل ، وينقادون للتعاليم الالهية قليلون دائما بالقياس إلى الكثرة من المعاندين للحق ، قال تعالى : (. . . وأكثرهم للحق كارهون) المؤمنون / ٧٠ ،

وقال تعالى : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) يوسف / ١٠٣ ، وفى كل ذلک إشارة إلى بطلان اعتماد معيار الكثرة لتقييم صحة الاتجاه وصحة الرأى فى مثل هذه الامور . وراجع : المعجم لمفهرس الالفاظ القرآن / محمد فؤاد عبد الباقى / ص ٥٩٧ وما بعدها .

(٥) الظاهر أن الشهيد الصدر (رضوان الله عليه) يذكر هذا من باب التنزل والتسامح ، وإلا فإن هناک نصوصا نبوية تصرح بلفظ الشيعة مقرونة بعلى ، جاء فى مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور / ج ١٧ / ص ٣٨٤ : عن على (عليه السلام) قال : " قال لى رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " أنت وشيعتک فى الجنة " . وفى ج ١٨ / ص ١٤ منه رواية اخرى عن جابر .

وراجع : النهاية / لابن الاثير / مادة قمح : ج ٤ / ص ١٠٦ ، " ستقدم أنت وشيعتک راضين مرضين . . . " الخطاب لعلى (عليه السلام) . (❊)

فبهذه الروح يجب أن نعالج قضية " التشيع " و " الشيعة " ، ونجيب عن السؤالين الا تبين:

كيف ولد التشيع ؟

وكيف وجدت الشيعة ؟

نشأة التشيع – الموقف السلبى : إهمال أمر الخلافة

ص: ١٩

الفصل الاول نشأة التشيع
المبحث الاول ❊ الموقف السلبى : إهمال أمر الخلافة
المبحث الثانى ❊ الايجابية ممثلة بنظام الشورى
المبحث الثالث ❊ الايجابية ممثلة بالاختيار والتعيين

ص: ٢١

تمهيد أما فيما يتعلق بالسؤال الاول : "كيف ولد التشيع ؟

"فنحن نستطيع أن نعتبر التشيع نتيجة طبيعية للاسلام ، وممثلا لاطروحة كان من المفروض للدعوة الاسلامية أن تتوصل إليها حفاظا على نموها السليم .

ويمكننا أن نستنتج هذه الاطروحة استنتاجا منطقيا من الدعوة التى كان الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) يتزعم قيادتها بحكم طبيعة تكوينها ، ونوع الظروف التى عاشتها ، فإن النبى (صلى الله عليه وآله) ، كان يباشر قيادة دعوة انقلابية ،

ويمارس عملية تغيير شامل للمجتمع وأعرافه وأنظمته ومفاهيمه ، ولم يكن الطريق قصيرا أمام عملية التغيير هذه ، بل كان طريقا طويلا وممتدا بامتداد الفواصل يمارسها النبى أن تبدأ بإنسان الجاهلية فنشأة إنشاء جديدا ، وتجعل

منه الانسان الاسلامى ، الذى يحمل الدور الجديد إلى العالم ، وتجتث منه كل جذور الجاهلية ورواسبها . (٦)

وقد خطا القائد الاعظم (صلى الله عليه وآله) بعملية التغيير خطوات مدهشة ، فى برهة قصيرة ، وكان على العملية التغييرية أن تواصل طريقها الطويل حتى بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله. (

وكان النبى يدرك منذ فترة قبل وفاته ، أن أجله قد دنا ، وأعلن ذلك بوضوح فى " حجة الوداع (٧) " ، ولم يفاجئه الموت مفاجأة . وهذا يعنى أنه كان يملك فرصة كافية للتفكير فى مستقل الدعوة بعده ، حتى إذا للرسالة عن طريق الوحى وفى هذا الضوء يمكننا أن الالهية المباشرة للرسالة عن طريق الوحى. (٨)

وفى هذا الضوء يمكننا أن نلاحظ أن النبى (صلى الله عليه وآله) كان أمامه ثلاثة طرق بالامكان انتهاجها تجاه مستقبل الدعوة .أولهما : الطريق السلبى ، وثانيهما : الطريق الايجابى ممثلا بالشورى وثالثهما: التعيين] وهنا ثلاثة مباحث . [

❊ ❊ (هامش) ❊

(٦) جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور) الحديد / ٩ .

(٧) جاء ذلك عنه صلوات الله وسلامه عليه فى خطبة حجة الوداع إذ قال : " ألا وإنى اوشك أن ادعى فاجيب . . . وفى رواية كانى قد دعيت فاجبت ، وانى تركت فيكم الثقلين . . . " صحيح مسلم / ج ٤ / ص ١٨٧٤ ،

وعن عبد الله بن مسعود قال : " كنا مع النبى (صلى الله عليه وآله) ليلة فتنفس ، فقلت : ما شأنك يا رسول الله ؟ قال : نعيت الى نفسى . . . " مختصر تاريخ ابن عساكر / ج ١٨ / ص ٣٢ .

(٨) بمعنى أننا لو افترضنا أن النبى حريص على دعوته المباركة – كما هو شأنه – وعلى أن تصل هذه الدعوة إلى مداها المقدار لها ، وقد كان منطلقا إلى أن تصل إلى العالم أجمع ، فإن هذا بحد ذاته يقتضيه أن يحسب حساب المستقبل . (❊)

المبحث الاول الموقف السلبى : إهمال أمر الخلافة. (*)

وذلک بأن يقف من مستقبل الدعوة موقفا سلبياً ، ويكتفى بممارسة دوره فى قيادة الدعوة وتوجيهها فترة حياته ، ويترک مستقبلها للظروف والصدف.

وهذه السلبية فى الموقف لا يمكن افتراضها فى النبى (صلى الله عليه وآله) ، لانها إنما تنشأ من أحد أمرين كلاهما لا ينطبقان عليه:

الامر الاول : الاعتقاد بأن هذه السلبية والاهمال لا توثر على مستقبل الدعوة ، وإن الامة التى سوف يخلف الدعوة فيها قادرة على التصرف

* ❊ (هامش) ❊
(*)عناوين المباحث الثلاثة للفصلين الاول والثانى مستوحاة من كلام السيد الشهيد الصدر وهى ليست فى الاصل(*) .

بالشكل الذى يحمى الدعوة ، ويضمن عدم الانحراف.

وهذا الاعتقاد لا مبرر له من الواقع إطلاقا ، بل إن طبيعة الاشياء كانت تدل على خلافه ، لان الدعوة – بحكم كونها عملا تغيير انقلابيا فى بدايته ، يستهدف بناء أمة واستئصال كل جذور الجاهلية منها – تتعرض لاكبر الاخطار إذا خلت الساحة من قائدها ، وتركها دون أى تخطيط ، فهناک :

أولا : الاخطار التى تنبع عن طبيعة مواجهة الفراغ دون أى تخطيط مسبق ، وعن الضرورة الانية لاتخاذ موقف مرتجل فى ظل الصدمة العظيمة بفقد النبى ، فإن الرسول (صلى الله عليه وآله) إذا ترک الساحة دون تخطيط لمصير الدعوة فسوف

تواجه الامة ، ولاول مرة ، مسؤولية التصرف بدون قائها تجاه أخطر مشاكل الدعوة ، وهى لا تمتلك أى مفهوم سابق بهذا الصدد ، وسوف يتطلب منها الموقف تصرفا سريعا انيا على رغم خطورة المشكلة ، لان الفراغ لا يمكن أن يستمر (٩) ،

وسوف يكون هذا التصرف السريع فى لحظة الصدمة التى تمنى بها الامة ، وهى تشعر بفقدها لقائدها الكبير ، هذه الصدمه التى تزعزع بطبيعتها سير التفكير ، وتبعث على الاضطراب حتى أنها جعلت

* ❊ (هامش) ❊

(٩)أصبح معلوما أن شغور كرسى الرئاسة فى الدولة يستتبع محاذير وأخطارا لا حصر لها ، بالاخص إذا لم تكن ثمة ضوابط دستورية محددة واضحة لملئه بشكل عاجل.

راجع النظريات السياسية الاسلامية / الدكتور الريس / ص ١٣٤(*) .

صحابيا معروفا يعلن – بفعل الصدمة – أن النبى لم يمت ولن يموت . (١٠) نعم سوف يكون مثل هذا التصرف محفوفا بالخطر غير محمود العواقب.

ثانيا : وهناك الاخطار التى تنجم عن عدم النضج الرسالى بدرجة تضمن للنبى (ص) ، سلفا ، موضوعية التصرف الذى سوف ، يقع ، وانسجامه مع الاطار الرسالى للدعوة ، وتغلبه على التناقضات الكامنة التى كانت لا تزال تعيش فى زوايا نفوس المسلمين على أساس الانقسام الى مهاجرين وأنصار ، أو قريش وسائر العرب ، أو مكة والمدينة. (١١)

ثالثا : هناك الاخطار التى تنشأ لوجود القطاع المتستر بالاسلام ، والذى كان يكيد له فى حياة النبى (صلى الله عليه وآله) باستمرار ، وهو القطاع الذى كان يسميه القرآن " بالمنافقين . (١٢) " وإذا أضفنا إليهم عددا

* ❊ (هامش) ❊

(١٠)راجع الملل والنحل / الشهرستانى / ج ١ / ص ١٥ فقد جاء فيه : قال عمر بن الخطاب " : من قال إن محمدا مات قتلته بسيفى هذا ، وإنما رفع الى السماء" . . .

وراجع تاريخ الطبرى / محمد بن جرير الطبرى / ج ٢ / ص ٢٣٣ . . . قال " : إن محمدا لم يمت وانه خارج الى من أرجف بموته وقاطع أيديهم وضارب أعناقهم. " . . .

(١١)هناك أكثر من شاهد على هذه الحالة ، فقد روى الشيخان والترمذى فى كتاب التفسير عن جابر بن عبد الله قال : " كنا فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار ، فقال الانصارى : يا للانصار ، وقال المهاجرين ، فسمع ذلك رسول الله (صلى الله عليه

وآله) فقال : ما يدل دعوى الجاهلية . . . وسمع ابن سلول فقال : فعلوها ، والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منا الاذل "التاج الجامع للاصول / الشيخ ناصف / ج ٤ / ص ٢٦٣.

(١٢)حاول قطاع المنافقين فى حياة النبى محمد (صلى الله عليه وآله) أن يقوم بأدوار خطيرة جدا فى الكيد للاسلام وللرسول وللمسلمين . لا حظ مثلا ما نقلناه فى الهامش السابق من(*) =

كبيرا ممن أسلم بعد الفتح ، استسلاما للامر الواقع و لا انفتاحا على الحقيقة ، نستطيع حينئذ أن نقدر الخطر الذى يمكن لهذه العناصر أن تولده وهى تجد فجاة فرصة لنشاط واسع فى فراغ كبير ، مع خلو الساحة من رعاية القائد . (١٣)

فلم تكن إذن خطورة الموقف بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله) شيئا يمكن أن يخفى على أى قائد مارس العمل العقائدى فضلا عن خاتم الانبياء. (١٤)

وإذا كان أبو بكر لم يشأ أن يترك الساحة دون أن يتدخل تدخلا ايجابيا فى ضمان مستقبل الحكم بحجة الاحتياط

❊ ❊ (هامش) ❊

= قول ابن سلول – رأس المنافقين – ولا حظ ما أثاروه وروجوه مثلا فى حادثة الافك ، وفى إشاعة الا راجيف كما حصل فى معركة احد ، وفى معركة الاحزاب . وقد انزل الله تعالى فى القرآن سورة المنافقين سلط فيها الاضواء على هذا القطاع الخبيث ، وعرف الرسول بنواياهم وما يخبئون .

راجع مثلا تفسير الفخر الرازى / ج ٨ / ص ١٥٧ ط ١ / الخيرية ١٣٠٨ ه مصر ، وراجع الكشاف / الزمخشرى / ٤ : ص ٨١١.

(١٣)لا حظ توقع حدوث ظاهرد خروج أعداد كبيرة من الدين بالنسبة لمن أسلم بعد الفتح ، حديث جابر بن عبد الله الانصارى قال : " سمعت رسول الله يقول : دخل الناس افواجا وسيخرجون أفواجا" . . .

ولا حظ أيضا حركة الارتدا التى حصلت بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله) مع تحذيراته الكثيرة من تلك الحالة .الكشاف / ج ٤ / ص ٨١١ ، وراجع تاريخ الطبرى / ج ٢ ص ٢٤٥.

وراجع حديث الحوض المشهور فى قوله (صلى الله عليه وآله " : (أنا فرطكم على الحوض فيوتى برجال أعرفهم فيمنعون منى فأقول أصحابى فيقال : إنک لا تدرى ما أحدثوا بعدک فأقول سحقا لمن بدل بعدى " راجع صحيح البخارى / ج ٨ / ص ٨۶ كتاب الفتن.

(١۴) المصدر السابق . (*)

للامر . (١۵)
وإذا كان الناس قد هرعوا الى عمر حين ضرب قاتلين : " يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا (١۶) " ، وكل ذلک كان خوفا من الفراغ الذى سوف يخلفه الخليفة ، بالرغم من التركز السياسى والاجتماعى الذى كانت الدعوة قد بلغته بعد عقد من وفاة

الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وإذا كان عمر قد أوصى الى سته (١٧) تجاوبا مع شعور الاخرين بالخطر ، وإذا كان عمر يدرک بعمق خطورة الموقف فى يوم السقيفة ، وما كان بالامكان أن تؤدى إليه خلافة أبى بكر بشكلها المرتجل من

مضاعفات ، إذ يقول " : إن بيعد أبى بكر بشكلها المرتجل من شرها (١٨) " . . . ، وإذا كان أبو بكر نفسه يعتذر عن تسرعه إلى قبول الحكم ، وتحمل المسؤوليات الكبيرة ، بأنه شعر بخطورة الموقف ، وضرورة الاقدام السريع على حل ما ،

إذ يقول – وقد عوتب على قبول السلطة " : – إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبض ، والناس حديثو عهده بالجاهلية ، فخشيت أن يفتتنوا ، وأن أصحابى حملونيها (١٩) " إذا

* (هامش) *
(١۵)راجع قصة استخلاف أبى بكر لعمر بن الخطاب ، وقوله " : إنكم إن أمرتم فى حياة منى كان أجدر الا تختلفوا بعدى . " . .مختصر تاريخ ابن عساكر / ج ١٨ / ص ٣٠٨ / ٣٠٩ ، وراجع تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٢۴۵ ، ص ٢٨٠.

(١٦)راجع تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٥٨٠ (الشهيد) ، مختصر تاريخ ابن عساكر / لابن منظور ج ١٨ / ص ٣١٢.

(١٧)تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٥٨١ (الشهيد.)

(١٨)تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٢٠٥ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، السابق ج ٢ / ص ٥٨١.

(١٩)شرح نهج البلاغه / ابن أبى الحديد / تحقيق أبو الفضل إبراهيم / ج ٢ ص ٤٢ (الشهيد) ، وراجع تاريخ الطبرى / ج ٢ ص ٣٥٣ . قال أبو بكر " : وودت لو لم أقبلها(*) . " . . .

كان كل ذلك صحيحا (٢٠) ، فمن البد يهى إذن أن يكون رائد الدعوة ونبيها اكثر شعورا بخطر السلبية (٢١) ، وأكبر ادراكا ، وأعمق فهما لطبيعة الموقف ومتطلبات العمل التغييرى الذى يمارسه فى امة حديثة عهد بالجاهلية على حد تعبير أبى بكر.

* * (هامش) *

(٢٠) راجع : الفاروق عمر للدكتور محمد حسين هكيل / ج ٢ / ص ٣١٣ / ٣١٤ : " كان عمر يود لو يتم التشاور ، ويختاروا خليفة ، قبل أن يقبض ليموت مطمئنا الى مصير الاسلام من بعده . . . " .

(٢١) إن حرص النبى محمد (صلى الله عليه وآله) على دعوته المباركة وعلى وحدة الامة ومصير الاسلام ، لابد أن يكون بالضرورة أكثر من حرص أصحابه وأشد ، قال تعالى : (. . . عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) التوبة / ١٢٨ .

والاهم فإن توعيته للامة وتربيته لاصحابه فى ضرورة تجنب الاختلاف ، وممارساته العملية بهذا الشأن لا تحتاج الى دليل ، فضلا عن كون القرآن قد طفح بعشرات الآيات التى تدعو الى نبذ الخلاف ، والتنفير من أسبابه ودواعيه ، فكيف يمكن تصور أن يترك النبى الرحيم

أهم سبب يدعو الى التنازع وهو الرئاسة دون أن يضع ما من شأنه أن يعطله ويغلق الباب دون تفاعلاته ، مع أن هذا الادراك كما يقولون دفع الخليفتين الاول والثانى الى الاستخلاف كما صرحوا به هم انفسهم / تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٥٨٠ .

الامر الثانى : النظرة المصلحية

إن الامر الثانى الذى يمكن أن يفسر سلبية القائد تجاه مستقبل الدعوة ، ومصيرها بعد وفاته ، أنه على رغم شعوره بخطر هذا الموقف ، لا يحاول تحصين الدعوة ضد ذلک الخطر ، لانه ينظر الى الدعوة نظرة مصلحية ، فلا يهمه إلا أن يحافظ عليها ما دام حيا

ليستفيد منها ، ويستمتع بمكاسبها ، ولا يعنى بحماية مستقبلها بعد وفاته.

وهذا التفسير لا يمكن أن يصدق على النبى محمدا (صلى الله عيه وآله) ، حتى إذا لم نلاحظه بوصفه نبيا ومرتبطا بالله سبحانه وتعالى فى كل ما يرتبط بالرسالة ، وافترضناه قائدا رساليا كقادة الرسالات الاخرى ، لان تاريخ القادة الرساليين لا

يملک نظيرا للقائد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) ، فى إخلاصه لدعوته ، وتفانيه فيها ، وتضحيته من أجلها الى آخر لحظة من حياته . وكل تاريخه يبرهن على ذلک ، فقد كان (صلى الله عليه وآله) على فراش الموت وقد ثقل مرضه ،

وهو يحمل هم معركة كان قد خطط لها ، وجهز جيش اسامة لخوضها ، فكان يقول " : جهزوا جيش اسامة ، أنفذوا جيش اسامة ، ارسلوا بعث اسامة " ، يكرر ذلک ، ويغمى عليه بين الحين والحين (٢٣) ، فإذا كان اهتمام الرسول (صلى الله

عليه وآله) بقضية من قضايا الدعوة العسكرية يبلغ الى هذه الدرجة ، وهو يجود بنفسه على فراش الموت ، ولا يمنعه علمه بأنه سيموت قبل أن يقطف ثمار تلک المعركة ، عن تبنيه لها ، وإن تكون همه الشاغل وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة ، فكيف يمكن

أن نتصور أن النبى لا يعيش هموم مستقبل الدعوة ، ولا يخطط لسلامتها ، بعد وفاته (صلوات الله عليه) من الاخطار المرتقبة ؟ ! وأخيرا فإن فى سلوک الرسول (صلى الله عليه وآله) فى مرضه

❊ (هامش) ❊

(٢٣)راجع : تاريخ الكامل / لابن الاثير / ج ٢ / ص ٣١٨ (الشهيد (،
وراجع ايضا الطبقات الكبرى لابن سعد / ج ٢ / ص ٢٤٩(*) .

الاخير رقما واحدا يكفى لنفى الطريق الاول ، وللتدليل على أن القائد الاعظم ، نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) كان أبعد ما يكون من فرضية الموقف السلبى تجاه مستقبل الدعوة ، لعدم الشعور بالخطر ، أو لعدم الاهتمام بشأنه ، وهذا الرقم

أجمعت صحاح المسلمين جميعا – سنة وشيعة – على نقله ، وهو أن الرسول (صلى الله عليه وآله) لما حضرته الوفاة ، وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال النبى (صلى الله عليه وآله " : (ائتونى بالكتف والدواة أكتب لكم كتابا لن

تضلوا بعده أبدا (٢٤) " فإن هذه المحاولة من القائد الكريم ، المتفق على نقلها وصحتها تدل بكل وضوح على أنه كان يفكر فى أخطار المستقبل ، ويدرک بعمق ضرورة التخطيط لتحصين الامة من الانحراف ، وحماية الدعوة من التميع والانهيار ، فليس إذن من الممكن افتراض الموقف السلبى (٢٥) من النبى (صلى الله عليه وآله) بحال من لاحوال.

❊ ❊ (هامش) ❊

(٢٤) راجع : صحيح البخارى / ج ١ / ص ٣٧ كتاب العلم ج ٨ / ص ٦١ كتاب الاعتصام (الشهيد)
وراجع : صحيح مسلم / ج ٥ / ص ٧٦ باب الوصية / مطبعة محمد على صبيح القاهرة : (الشهيد)
مسند الامام احمد / ج ١ / ص ٣٥٥ ،
وراجع الطبقات الكبرى / لابن سعد / ج ٢ / ص ٢٤٢ / ٢٤٤ (الشهيد) .

(٢٥) إن كل مسلم يؤمن بعظمة شخصية الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) ، فضلا عن إيمانه بأنه نبى الله ، يقيضيه ذلک الايمان استبعاد مثل هذه الفرضية مطلقا ، بل يلزم القول بامتناعها فى حقه عليه الصلاة والسلام ، وذلک لسببين على الاقل :

أولهما : إنه خلاف المعهود من سيرته صلوات الله وسلامه عليه بإجماع الملة ، تلک السيرة المشرقة الزاخرة بالعمل والجهاد المتواصل بلا انقطاع من أجل التغيير والبناء وانقاذ الامة .

وثانيهما : إنه مخالف لما تواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه ، ولما ربى الامة عليه ، من الاهتمام بالامور حتى قال : " من أصبح ولم يهتم بإمور المسلمين فليس منهم " اصول الكافى / ج ٢ / ص ١٣١ . ولذا يكون اهماله الاهتمام بمستقبل الدعوة ، ومستقبل الامة يعنى الاخلال الصريح بمصداقيته وعهوده .

المبحث الثانى : الايجابية ممثلة بنظام الشورى

إن الطريق الثانى المفترض ، هو أن يخطط الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) لمستقبل الدعوة بعد وفاته ، ويتخذ موقفا إيجابيا ، فيجعل القيمومة على الدعوة ، وقيادة التجربة للامة ممثلة – على أساس نظام الشورى – فى جيلها العقائدى الاول

الذى يضم مجموع المهاجرين والانصار ، فهذا الجيل الممثل للامة هو الذى سيكون قاعدة للحكم ، ومحورا لقيادة الدعوة فى خط نموها.

بالنسبة لهذا الافتراض ، يلاحظ هنا أن طبيعة الاشياء ، والوضع العام الثابت عن الرسول الاكرم والدعوة والدعاة ، يرفض هذه الفرضية ، وينفى أن يكون النبى (صلى الله عليه وآله) قد انتهج هذا الطريق ، واتجه الى ربط قيادة الدعوة بعده مباشرة بالامة ممثلة فى جيلها الطليعى من المهاجرين والانصار على أساس نظام الشورى (*) .

ص: ٣٢

وفيما : يأتى بعض النقاط التى توضح ذلك:

النقطة الاولى : لو كان النبى (صلى الله عليه وآله) قد اتخذ من مستقبل الدعوة بعده موقفا إيجابيا يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق ، بعد وفاته مباشرة ، وإسناد زعامة الدعوة الى القيادة التى تنبثق عن هذا النظام ، لكان من أبده الاشياء التى يتطلبها هذا الموقف الايجابى ، أن يقوم الرسول القائد بعملية توعية للامة والدعوة على نظام الشورى.

وحدوده وتفاصيله ، وإعطائه طابعا دينيا مقدسا ، وإعداد المجتمع الاسلامى إعداد فكريا وروحيا لتقبل هذا النظام ، وهو مجتمع نشا من مجموعة من العشائر ، لم تكن قد عاشت – قبل الاسلام – وضعا سياسيا على أساس الشورى ، وإنما كانت تعيش ، فى الغالب ، وضع زعامات قبلية وعشائرية تتحكم فيها القوة والثروة وعامل الوراثة إلى حد كبير. (٢٦)

ونستطيع بسهولة أن ندرك أن النبى (صلى الله عليه وآله) لم يمارس عملية التوعية على نظام الشورى ، وتفاصيله التشريعية ، ومفاهيمه الفكرية ، لان هذه العملية لو كانت قد أنجزت ، لكان من الطبيعى أن تنعكس وتتجسد فى الاحاديث المأثورة عن النبى (صلى الله عليه وآله) ، وفى ذهنية الامة ، أو على الاقل فى ذهنية الجيل

هامش * (

(٢٦)راجع : النظم الاسلامية / الدكتور عبد العزيز الدورى / ص ٧ ، مطبعة نجيب – بغداد ١٩٥٠ م

أيضا النظم الاسلامية / الدكتور صبحى الصالح / ص ٥٠ دار العلم للملايين ١٩٦٥(*) .

الطليعى منها ، الذى يضم المهاجرين والانصار بوصفه هو المكلف بتطبيق نظام الشورى مع أننا لانجد فى الاحاديث عن النبى (صلى الله عليه وآله) أى صورة تشريعية محددة لنظام الشورى. (٢٧)

وأما ذهنية الامة أو ذهنية الجيل الطليعى منها فلا نجد فيها أى ملامح أو انعكاسات محددة لتوعية من ذلك القبيل . فإن هذا الجيل كان يحتوى على اتجاهين ، أحدهما الاتجاه الذى يتزعمه أهل البيت ، والاخر الاتجاه الذى تمثله السقيفة والخلافة التى قامت فعلا بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله. (

فأما الاتجاه الاول : فمن الواضح أنه كان يؤمن بالوصاية والامامة ، ويؤكد على القرابة ، ولم ينعكس منه الايمان بفكرة الشورى . (٢٨)

هامش * (

(٢٧)يعترف الدكتور ضياء الدين الريس فى كتابه " النظريات السياسية الاسلامية " بأن الخلافة بالصورة التى انتهى إليها نظام الشورى لم يكن اساسها الاحاديث ، وإنما إجماع الصحابة على حد زعمه . ص ١٠٦ فى الهامش ردا على آرنولد.

ويظهر ذلك بصورة أوضح فى معرض رده ومناقشته للدكتور على عبد الرزاق فى كتابه " الاسلام واصول الحكم " إذ نفى هذا الاخير وجود أى نصوص تشريعية حديثية يستفاد منها نظام الحكم والسياسة وقد رد عليه الدكتور الريس ، محتجا بما جرت عليه سيرة الخلفاء

الراشدين وإن فعلهم ذاك هو الاخر له قيمة تشريعية فى الاسلام . راجع ص ١٧٤ / ١٧٥ . وراجع مناقشة وافية شافية كافية للنصوص التى قيل انها فى الشورى / اساس الحكومة الاسلامية للعلامة السيد كاظم الحائرى / ص ٨١ وما بعدها – مطبعة النيل – بيروت / ١٣٩٩.

(٢٨)راجع انكار الامام على " على " فكرة الشورى ، واحتجاجه على المؤتمرين فى السقيفة عندما احتج أبو بكر بالقرابة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخطبة الشقشقية وقوله عليه السلام : فيالله وللشورى " . . . نهج البلاغه / شرح الامام محمد عبده / ج ١ / ص ٣٠ / ٣٣(*) .

وأما الاتجاه الثانى : فكل الارقام والشواهد فى حياته وتطبيقه العملى تدل بصورة لا تقبل الشك على أنه لم يكن يؤمن بالشورى ، ولم يبن ممارساته الفعلية على أساسها ، والشئ نفسه نجده فى سائر قطاعات ذلك الجيل الذى عاصر وفاة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) من المسلمين. (٢٩)

وتلاحظ بهذا الصدد للتأكد من ذلك ، أن أبا بكر – حينما اشتدت به العلة – عهد الى عمر بن الخطاب ، فأمر عمثان أن يكتب عهده ، وكتب " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر خليفة رسول الله ، الى المؤمنين والمسلمين : سلام عليكم فإنى أحمد الله اليكم . أما بعد : فإنى قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فاسمعوا وأطيعوا(٣٠) "

ودخل عبد الرحمن بن عوف فقال : كيف أصبحت يا خليفة رسول الله ؟ فقال : أصبحت موليا ، وقد زدتمونى على ما بى ، إذ رأيتمونى استعملت رجلا منكم ، فكلكم قد أصبح ورما انفه ، وكل يطلبها لنفسه . (٣١)" . . .

* ❊ (هامش) ❊

(٢٩)لاحظ ما جرى يوم السقيفة من نقاش وحجاج ، إذ لم يرد للشورى ذكر ولا اسم بل الذى جرى على خلافها ، ومنها إطروحة منا أمير ومنكم أمير ، وكيف رفض أبو بكر ومن بعده عمر بن الخطاب هذه الفكر ، ثم كيف بادر عمربن الخطاب الى حسم الموقف بأن أخذ يد أبى بكر ، وقال " : ابسط يدك لا بايعك. " . . .

راجع نصوص السقيفة فى تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٢٣٤ وما بعدها ، وفى ص ٢٠٣ طبعة دار التراث ، وراجع شرح النهج / لابن أبى الحديد / ج ٦ / ص ٦ – ٩ . تحقيق أبو الفضل ابراهيم.

(٣٠)راجع : مختصر تاريخ دمشق / ابن منظور / ج ١٨ / ص ٣١٠ ، تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٣٥٢.

(٣١)تاريخ اليعقوبى / ج ٢ / ص ١٢٦ ، طبعة النجف الحيدرية ، (الشهيد) وراجع مختصر تاريخ

واضح من هذا الاستخلاف ، وهذا الاستنكار للمعارضة ، أن الخليفة لم يكن يفكر بعقلية نظام الشورى ، وأنه كان يرى من حقه تعيين الخليفة ، وأن هذا التعيين يفرض على المسلمين الطاعة ، ولهذا أمرهم بالسمع والطاعة (٣٢) ، فليس هو مجرد ترشيح أو تنبيه ، بل هو إلزام ونصب.

ونلاحظ أيضا أن عمر راى هو الاخر . أيضا ، أن من حقه فرض الخليفة على المسلمين ، ففرضه فى نطاق ستة أشخاص ، و أوكل أمر التعيين إلى الستة أنفسهم دون أن يجعل لسائر المسلمين أى دور حقيقى فى الانتخاب (٣٣) ، وهذا يعنى أيضا ، أن عقلية نظام الشورى لم تتمثل فى طريقة الاستخلاف التى انتهجها عمر ، كما لم تتمثل ، من

* (هامش) *

=ابن عساكر / ج ١٨ / ص ٣١٠ ، وتاريخ الطبرى / ج ٤ / ص ٥٢ / ط ١ / الحسينية المصرية.

(٣٢)راجع مختصر تاريخ ابن عساكر / ج ١٨ / ص ٣١٢ : عن قيس بن أبى حازم ، قال : خرج علينا عمر ومعه شديد مولى أبى بكر ومعه جريدة . . . فقال : أيها الناس اسمعوا قول خليفة رسول الله ، إنى قد رضيت لكم عمر ، فبايعوه ، وفى رواية : اسمعو وأطيعوا لمن فى هذه الصحيفة.

(٣٣)قال عمر لصهيب : صل بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ، إن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ولا شئ له من الامر وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه ، أو اضرب

رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما ، فإن رضى ثلاثة رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس" . . .

راجع : تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٥٨١ ، الكامل فى التاريخ / ابن أثير / ج ٣ / ص ٦٧ / طبعة دار صادر ، وهذا النص غنى عن التعليق (*) .

قبل ، فى الطريقة التى سلكها الخليفة الاول . وقد قال عمر – حين طلب منه الناس الاستخلاف " : – لو أدركنى احد رجلين فجعلت هذا الامر إليه لو ثقت به : سالم مولى أبى حذيفة ، وأبى عبيدة بن الجراح ، ولو كان سالم حيا ما جعلتها شورى . . . (٣٤) "

وقد قال أبو بكر لعبد الرحمن بن عوف ، وهو يناجيه على فراش الموت " : وددت أنى كنت سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمن هذا الامر ، فلا ينازعه أحد(٣٥) " . . .

وحينما تجمع الانصار فى السقيفة لتأمير سعد بن عبادة ، قال منهم قائل " : إن أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون ، ونحن عشيرته وأولياؤه ، فقالت طائفة منهم إذن نقول منا أمير ومنكم أمير ، لن نرضى بدون هذا منهم أبدا. (٣٦) " . . .

وحينما خطب أبو بكر فيهم قال " : كنا معاشر المسلمين المهاجرين أول الناس اسلاما ، والناس لنا فى ذلك تبع ، نحن عشيرة رسول الله وأوسط العرب أنسابا(٣٧) " . . .

وحينما اقترح الانصار أن تكون الخلافة دورية بين المهاجرين والانصار رد أبو بكر قائلا " : إن رسول الله لما بعث عظم على

* ❊ (هامش) ❊

(٣٤)راجع طبقات ابن سعد / ج ٣ / ص ٣٤٣ – طبعة دار صادر – بيروت (الشهيد (،
وراجع تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٥٨٠ . الدار العلمية ، الرواية تختلف عن رواية ابن سعد المذكورة.

(٣٥)تاريخ الطبرى / ج / ٢ ص ٣٥٤ ط ٣ – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت / ١٤٠٨ ه (الشهيد . (
(٣٦)المصدر السابق / ج ٢ / ص ٢٤٢ .
(٣٧)المصدر السابق / ج ٢ / ص ٢٣٥(*) .

العرب أن يتركوا دين آبائهم فخالفوه وشاقوه وخص الله المهاجرين الاولين من قومه بتصديقه . . فهم أول من عبد الله فى الارض ، وهم أولياؤه وعترته ، وأحق الناس بالامر بعده ، لا ينازعهم فيه الا ظالم. (٣٨) " . . .

وقال الحباب بن المنذر ، وهو يشجع الانصار على التماسك " : املكوا عليكم أيديكم إنما الناس فى فيئكم وظلكم ، فإن أبى هؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير(٣٩) " . . .

ورد عليه عمر قائلا : هيهات لا يجتمع سيفان فى غمد . . . من ذا يخاصمنا فى سلطان محمد وميراثه ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بباطل ، أو متجانف لاثم ، أو متورط فى هلكة. (٤٠) "

إن الطريقة التى مارسها الخليفة الاولى والخليفة الثانى

* ❊ (هامش) ❊

(٣٨)المصدر السابق / ج ٢ / ص ٢٤٢ : وقد رد الامام على عليه السلام مثل هذا الاحتجاج كما فى مختصر تاريخ ابن

عساكر / ج ١٨ / ص ٣٨ / ٣٩ ، وحاصله : إذا كان السبق الى الاسلام والايمان هو الذى يرشح الانسان للخلافة مع ضرورة كونه أقرب الى رسول

الله (صلى الله عليه وآله) وأن يكون من أوليائه وعترته ، فإن عليا هو الاسبق الى عبادة الله ، والايمان برسالة نبيه صلوات الله عليه ، بل إن عبادة لم تكن مسبوقة بشرك – فهو لم يسجد لصنم قط – على خلاف الجميع وأما القرب من رسول الله فهو من عترته وخاصته

وهو بالنص الصريح وليه وأخوه ونفسه – وأنه هو وحده الذى يؤدى عنه . راجع مسند الامام أحمد / ج ٤ / ص ٢٨١ . إذن بمقتضى هذا المنطق يلزم أن يكون هو الاحق لاغيره.

(٣٩)راجع تاريخ الطبرى / ج / ص ٢٤١ وما بعدها – حوادث سنة (١١) هجرية.

(٤٠)المصدر السابق / ج ٢ / ص ٢٤٣ . وراجع شرح نهج البلاغة / لابن أبى الحديد / ج ٦ / ص ٦ – ٩ (الشهيد) (*

ص: ٣٨

للاستخلاف ، وعدم استنكار عامة المسلمين لتلك الطريقة ، والروح التى سادت على منطق الجناحين المتنافسين من الجيل الطليعى ، المهاجرين والانصار يوم السقيفة ، والاتجاه الواضح الذى بدا لدى المهاجرين نحو تقرير مبدأ انحصار السلطة

بهم ، وعدم مشاركة الانصار فى الحكم ، والتاكيد على المبررات الوراثية التى تجعل من عشيرة النبى أولى العرب بميراثه ، واستعداد كثير من الانصار لتقبل فكرة أميرين ، أحدهما من الأنصار والاخر من المهاجرين ، واعلان أبى بكر الذى فاز

بالخلافة – فى ذلك اليوم – عن أسفه لعدم السؤال من النبى عن صاحب الأمر بعده (٤١) . . . ، كل ذلك يوضح ، بدرجة لا تقبل الشك ، أن هذا الجيل الطليعى من الامة الاسلامية – بعد وفاة النبى – لم يكن يفكر بذهنية الشورى ، ولم يكن يملك

فكرة محددة عن هذا النظام ، فكيف يمكن أن نتصور أن النبى (صلى الله عليه وآله) قد مارس عملية توعية على نظام الشورى تشريعيا وفكريا ، وأعد جيل المهاجرين والانصار لتسلم قيادة الدعوة بعده على أساس هذا النظام ، ثم لانجد لدى هذا

الجيل تطبيقا واعيا لهذا النظام أو مفهوما محددا عنه ؟ كما أننا لا يمكن أن نتصور – من ناحية اخرى – أن الرسول القائد يضع هذا النظام ، ويحدده تشريعيا ومفهوميا ،

* ❊ (هامش) ❊

(٤١)تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٣٥٤

ص: ٣٩

ثم لا يقوم بتوعية المسلمين عليه وتثقيفهم به. (٤٣)

وهكذا يبرهن ما تقدم على أن النبى (صلى الله عليه وآله) لم يكن طرح الشورى كنظام بديل على الامة ، إذ ليس من الممكن عادة أن تطرح بالدرجة التى تتناسب مع أهميتها ، ثم تختفى اختفاء كاملا عن الجميع وعن كل الاتجاهات. (٤٤)

ومما يوضح هذه الحقيقة بدرجة اكبر أن نلاحظ.

أولا : إن نظام الشورى كان نظاماً جديدا بطبيعته على تلك البيئة التى لم تكن قد مارست ، قبل النبوة ، أى نظام مكتمل للحكم . (٤٥) فكان لابد من توعية مكثفة ومركزة عليه كما أو ضحنا ذلك.

* ❊ (هامش) ❊

(٤٣)لان التوعية فى مثل هذه الموارد قد جرت عليه سيرته الشريفة وسنته المباركة ، ونجد ذلك فى الامور التى هى أقل شأنا وأهمية من هذا الامر فى مناسبات وموارد لا تحصى كثرة.

(٤٤)اختفاء تفاصيل فكرة الشورى حتى على مستوى تحديد معالمها الاساسية كنظام للحكم حقيقة قائمة إذ لم ينقل أن أحدا من المتنازعين سواء فى مؤتمر السقيفة أو بعده قد تقدم ولو بنص واحد يتعلق بها من قريب أو بعيد.

راجع نصوص السقيفة مثلا فى تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٢٣٤ وما بعدها.

(٤٥)قضية عدم وجود نظام للحكم فى الجزيرة العربية – قبل البعثة النبوية وتأسيس دولة الاسلام فى المدينة – أمر متسالم عليه عند المؤرخين لضرورة عدم وجود دولة أصلا من جهة ، ولخضوع العرب الى أعرافهم وتقاليدهم القبلية ،

راجع محاضرات فى تاريخ العرب / الدكتور صالح أحمد العلى / ط ٢ – بغداد ،

وراجع محاضرات فى تاريخ العرب الاسلام / الدكتور عبد اللطيف الطياوى / ج ١ / ص ١٢١ – دار الاندلس – بيروت / ١٩٦٣ ،

وراجع تاريخ العرب قبل الاسلام / القسم السياسى / د . جواد على – طبعد دار المجمع العلمى العراقى ،

وراجع تاريخ الاسلام السياسى / الدكتور حسن إبراهيم حسن / ص ٥١

)إن مذهباً يثبت نفسه من كتب خصمه أحق أن يتبع ، وإن مذهبا يحتج عليه بما فى كتبه فيلجأ للتأويل والتحوير أحق أن يتجنب عنه(

ص: ۴۰

ثانيا : إن الشورى ، كفكرة مفهوم غائم ، لا يكفى طرحه هكذا ، لامكان وضعه موضع التنفيذ ، ما لم تشرح تفاصيله وموازينه ومقاييس التفضيل عند اختلاف الشورى ، وهل تقوم هذه المقاييس على أساس العدد والكم ، أو على أساس الكيف والخبرة ؟ ؟ الى غير ذلک مما يحدد للفكرة معالمها ويجعلها صالحة للتطبيق (۴۶) فور وفاة النبى (صلى الله عليه وآله(

ثالثا : إن الشورى تعبر فى الحقيقة عن ممارسة للامة – بشكل أو آخر – للسلطة عن طريق التشاور وتقرير مصير الحكم ، فهى مسؤولية تتعلق بعدد كبير من الناس هم كل الذين تشملهم الشورى ، وهذا يعنى أنها لو كانت حكما شرعيا يجب وضعه

موضع التنفيذ عقيب وفاة النبى (صلى الله عليه وآله) لكان لا بد من طرحه على اكبر عدد من اولئک الناس لان موقفهم من الشورى ايجابى ، وكل منهم يتحمل قسطا من المسؤولية. (۴۷)

وكل هذه النقاط تبرهنم على أن النبى (صلى الله عليه وآله) فى حالة تبنيه لنظام الشورى ، كبديل له بعد وفاته ، يتحتم عليه أن يطرح

* ❊ (هامش) ❊

(۴۶)يلاحظ ضرورة الوضوح بدرجة كافية لحسم مسألة الرئاسة بعد شغور كرسيها تجنبا للمخاطر المتوقعة فى حالة عدم وجود معايير محددة فى هذا المجال.

(۴۷)أى كما هو الشان فى كل تكليف شرعى ، إذ يقتضى البيان والتفضيل ، وهذا ما كان عليه صلوات الله وسلامه عليه ، فى كل التكاليف الشرعية ، قال ، تعالى . . .) : وانزلنا إليک الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم (. . . النحل۴۴ / ، فلو كان ، حكما شرعيا إذن ، وواجبا يجب ممارسته ممن عنده الاهلية ، لكان يقتضى البيان

ص: ۴۱

فكرة الشورى على نطاق واسع ، وبعمق ، وباعداد نفسى عام ، وملء كل الثغرات ، وابراز لكل التفاصيل التى تجعل الفكرة عملية ، وطرح للفكرة على هذا المستوى كما وكيفا وعمقا ، لا يمكن أن يمارسه الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) ، ثم تنطمس معالمه لدى جميع المسلمين الذين عاصروه الى حين وفاته صلوات الله عليه.

وقد يفترض أن النبى (صلى الله عليه وآله) كان قد طرح فكرة الشورى بالصورة اللازمة ، وبالحجم الذى يتطلبه الموقف كما وكيفا ، واستوعبها المسلمون ، غير أن الدوافع السياسية استيقظت فجأة وحجبت الحقيقة وفرضت على الناس كتمان ما سمعوه من النبى فيما يتصل بالشورى وأحكامها وتفاصيلها.

غير أن هذا الافتراض ليس عمليا ، لان تلك الدوافع مهما قيل عنها ، فهى لا تشمل المسلمين الاعتياديين من الصحابة الذين لم يساهموا فى الاحداث السياسية عقب وفاة النبى (صلى الله عليه وآله) ، ولا فى بناء هرم السقيفة ، وكان موقفهم موقف المترسل ، وهؤلاء يمثلون فى كل مجتمع جزءا كبيرا من الناحية العددية مهما طغى الجانب السياسى عليه . (۴۸)

* ❊ (هامش) ❊

(۴۸)أى كما تمت محاولة طمس مبدأ الولاية لعلى (عليه السلام) ومع ذلك فإن النصوص المتعلقة بها لم تختف تماما ولا كليا ، بل وصلت نصوص كثيرة بلغ بعضها حد الشهرة والتواتر . راجع مختصر تاريخ ابن عساكر / ابن منظور / ج ۱۷ / ص ۳۵۶ وما بعدها وج ۱۸ ص ۱ – ۵۰ فلو كان هناك بيانات ونصوص عن الشورى كنظام لاستعصت على الطمس

فلو كانت الشورى مطروحة من قبل النبى (صلى الله عليه وآله) بالحجم المطلوب لما اختص الاستماع الى نصوصها بأصحاب تلك الدوافع ، بل لسمعها مختلف الناس ، ولانعكست بصورة طبيعية عن طريق الاعتياديين من الصحابة كما

انعكست فعلا النصوص النبوية على فضل الامام (عليه السلام) ووصايته عن طريق الصحابة أنفسهم ، فكيف لم تحل الدوافع السياسية دون أن تصل الينا مئات الاحاديث – عن طريق الصحابة – عن النبى (صلى الله عليه وآله) فى فضل على

)عليه السلام) ووصايته ومرجعيته (۴۹) ، على الرغم من تعارض ذلک مع الاتجاه السائد وقتئذ ، ولم يصلنا شئ ملحوظ من ذلک فيما يتصل بفكرة الشورى ؟(۵۰)

بل حتى اولئک الذين كانوا يمثلون الاتجاه السائد كانوا فى كثير من الاحيان يختلفون فى الموقف السياسية ، وتكون من مصلحة هذا الفريق أو ذاک أن يرفع شعار الشورى ضد الفريق الاخر ،

* ❊ (هامش) ❊

(۴۹)راجع ما نقلناه فى الدراسة " الملحق " وراجع مختصر تاريخ ابن عساكر / لابن منظور / ج ۱۷ / ص ۳۵۴ / ص ۱ – ۵۰ ، وراجع حلية الاولياء / لابى نعيم / ج ۱ / ص ۶۶ ،

وراجع الطبقات الكبرى لابن سعد / ج ٢ / ص ٣٣٨ ،
وراجع ينابيع المودة للقندوزى / ج ١ / ص ٦٢ وما بعدها
وراجع السنن الكبرى – النسائى / الخصائص ج ٥ / ص ١٢٨ وما بعدها.

(٥٠)من الملاحظ أن الكتاب المسلمين الذين بحثوا فى مسألة نظام الحكم ، أو فى مسألة الخلافة ، ممن نظام الشورى محتجين بالقرآن فى بعض الموارد لم يعثروا على نصوص نبوية تسعفهم فى تأييد دعواهم ، ولذلك اضطروا الى اعتماد سيرة الصحابة ، ومع ذلك فإنهم لم

يجدوا تفسيرا منطقيا للوضع المتباين والمضطرب الذى كان عليه استخلاف الصحابة . راجع النظريات السياسية الاسلامية / الدكتور الريس ، وراجع السقيفة والخلافة لعبد الفتاح عبد المقصود

ومع ذلك لم نعهد أن فريقا منهم استعمل هذا الشعار كحكم سمعه من النبى (صلى الله عليه وآله) ، فلاحظوا – على سبيل المثال – موقف طلحة من تعيين أبى بكر لعمر ، واستنكاره لذلك ، وإعلانه السخط على هذا التعيين (٥١) ، فإنه لم يفكر–

على رغم ذلك – أن يلعب ضد هذا التعيين بورقة الشورى ، ويشجب موقف أبى بكر ، بأنه يخالف ما هو المسموع من النبى (صلى الله عليه وآله) عن الشورى والانتخاب.

النقطة الثانية : إن النبى لو كان قد قرر أن يجعل من الجيل الاسلامى الرائد ، الذى يضم المهاجرين والانصار من صحابته قيما على الدعوة بعده ، ومسؤولا عن مواصلة عملية التغيير ، فهذا يحتم على الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) أن يعبئ

هذا الجيل تعبئة رسالية وفكرية واسعة ، يستطيع أن يمسك بالنظرية بعمق ويمارس التطبيق فى ضوئها بوعى ، ويضع للمشاكل التى تواجهها الدعوة باستمرار حلولها النابعة من الرسالة ، خصوصا إذا لا حظنا أن النبى (صلى الله عليه وآله(

كان – وهو الذى بشر بسقوط كسرى وقيصر – (٥٢) يعلم بأن الدعوة مقبلة على فتوح عظيمة ، وأن الامة الاسلامية سوف تضم إليها فى غد قريب شعوبا جديدة ومساحة كبيرة ❊ وتواجه مسؤولية توعية تلك الشعوب على

* ❊ (هامش) ❊
(٥١)راجع مختصر تاريخ ابن عساكر / ابن منظور / ج ١٨ / ص ٢٣٠ الروايد عن الشعبى وكان مع طلحة والزبير وسعيد وعبد الرحمن.

(٥٢)راجع تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٩٢ / ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت / حديث النبى عند حفر الخندق

ص: ٤٤

الاسلام ، وتحصين الامة من أخطار هذا الانفتاح ، وتطبيق أحكام الشريعة على الارض المفتوحة وعلى أهل ، وبالرغم من أن الجيل الرائد من المسلمين كان أنطف الاجيال التى توارثت الدعوة وأكثرها استعدادا للتضحية ، بالرغم من كل ذلك ،

لانجد فيه ملامح ذلك الاعداد الخاص للقيمومة على الدعوة ، والتثقيف الواسع العميق على مفاهيمها ، والارقام التى تبرر هذا النفى كثيرة لا يمكن استيعابها فى هذا المجال . ويمكننا أن نلاحظ بهذا الصدد ، أن مجموع ما نقله الصحابة من نصوص عن

النبى (صلى الله عليه وآله) فى مجال التشريع لا يتجاوز بضع مئات من الاحاديث (٥٣) ، بينما كان عدد الصحابة يناهز اثنى عشر ألفا على ما أحصته كتب التاريخ. (٥٤)

وكان النبى (صلى الله عليه وآله) يعيش مع آلاف من هؤلاء فى بلد واحد ومسجد واحد ، صباحا ومساء ، فهل يمكن أن نجد فى هذه الارقام ملامح الاعداد الخاص ؟ ! والمعروف عن الصحابة أنهم كانوا يتحاشون من ابتداء النبى (صلى الله عليه وآله) بالسؤال حتى أن احدهم كان ينتظر فرصة مجئ

* ❊ (هامش) ❊

(٥٣)راجع سنن أبى داود / لاختصاصه باحاديث الاحكام والموطا / للامام مالک / مجموع أحاديثه (١٥٧٠) بعضها مراسيل.

(٥٤)ما أحصاه ابن حجر فى) الاصابة فى تمييز الصحابة (فى أربع مجلدات / بلغ عدد التراجم (١٢٢٦٧ . (راجع بحوث فى تاريخ السنة المشرقة / الدكتور أكرم ضياء العمرى / هامش ص ٧١ / ط ٣ مؤسسة الرسالة – بيروت / ١٩٧٥ ،

وراجع علوم الحديث ومصطلحه الدكتور صبحى الصالح / ص ٣٥٤ ، فقد نقل عن أبى زرعة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبض عن (١١٤٠٠٠) مائة الف وأربعة عشر ألفا من الصحابة

ص: ٤٥

أعرابى من خارج المدينة يسأل ليسمع الجواب (٥٥) ، وكانوا يرون أن من الترف الذى يجب الترفع عنه السؤال عن حكم قضايا لم تقع بعد.

ومن أجل ذلك قال عمر على المنبر (٥٦) " . . . وقال " : لا يحل لاحد أن يسأل عما لم يكن . إن الله قد قضى فيما هو كائن (٥٧) " . . . وجاء رجل يوما الى ابن عمر يسأله عن شئ فقال له ابن عمر ": لا تسأل عما لم يكن ، فإنى سمعت

عمر بن الخطاب يلعن من سأل عما لم يكن (٥٨) " . . . ، وسأل رجل ابى بن كعب عن مسألة ، قال " يا بنى أكان الذى يسألنى عنه ؟ قال : لا ، قال : أما لا ، فأجلنى حتى يكون. (٥٩) "

"وقرأ عمر يوما القرآن ، فانتهى الى قوله تعالى) : فانبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا نخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وابا (٦٠) (، فقال كل هذا عرفناه ، فما الاب ؟ ثم قال : هذا لعمر الله هو التلكلف ، فما عليك أن لا تدرى ما الاب ، اتبعوا ما بين لكم هداه من

* ❊ (هامش) ❊

(٥٥)راجع خطبة الامام على (عليه السلام) رقم ٢١٠ / ص ٣٢٧ نهج البلاغة / الدكتور صبحى الصالح . قال " وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من كان يسأله ويستفهمه ، حتى إن كانوا ليحبوا أن يجئ الاعرابى والطارى فيسأله صلوات الله عليه حتى يسمعوا ، وكان لا يمر بى من ذلك شئ دار إحياء السنة النبوية.

(٥٦)سنن الدارمى / ج ١ / ص ٥٠ نشر دار إحياء السنة النبوية .
(٥٧)المصدر السابق / ج ١ / ص ٥٠ (الشهيد . (
(٥٨)المصدر السابق / ج ١ / ص ٥٠ (الشهيد . (
(٥٩)المصدر السابق / ج ١ / ص ٥٦ (الشهيد . (
(٦٠)سورة عبس / آية ٢٧ – ٣١

الكتاب فاعملوا به ، وما لم تعرفوه فكلوه الى ربه. (٦١) " . . .

وهكذا نلاحظ اتجاها لدى الصحابة الى العزوف عن السؤال إلا فى حدود المشاكل المحددة الواقعة . وهذا الاتجاه هو الذى ادى الى ضالة عدد النصوص التشريعية التى نقلوها عن الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وهو الذى أدى – بعد ذلك – الى

الاحتياج الى مصادر اخرى غير الكتاب والسنة ، كالاستحسان والقياس وغيرهما من الوان الاجتهاد التى يتم فيها العنصر الذاتى للمجتهد (٦٢) ، الامر الذى ادى الى تسرب شخصية الانسان بذوقة وتصوراته الخاصة الى التشريع . . . وهذا

الاتجاه أبعد ما يكون عن عملية الاعداد الرسالى الخاص التى كانت تتطلب تثقيفا واسعا لذلك الجيل وتوعية له على حلول الشريعة للمشاكل التى سوف يواجهها عبر قيادته.

وكما أمسك الصحابة عن مبادرة النبى بالسؤال ، كذلك أمسكوا عن تدوين آثار الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) وسنته (٦٣) على

* ❊ (هامش) ❊

(٦١)الاتقان فى علوم القرآن / السيوطى / ج ٢ / ص ٤ – تحقيق أبو الفضل ابراهيم.

(٦٢)انكر الاجتهاد الشافعى نظريتى الاستحسان والمصالح المرسلة لان الشريعة قد تكفلت ببيان كل ما يحتاج الانسان الى معرفته من الاحكام ، إما بالنص الصريح ، أو بالاشارة ، أو بطريق القياس المشروع ، ولان الاستحسان لا ضابط له ولا مقاييس يقاس بها الحق

من الباطل . . . ، عن الشافعى قوله : " من استحسن فقد شرع . . . " . راجع المدخل الفقهى العام / الدكتور / مصطفى الزرقا / ج ١ / ص ١٢٤ / ١٢٥.

(٦٣)راجع فى مسألة تدوين الحديث ، والمنع منه أو إجازته فيما بعد أورده ونقله الدكتور صبحى الصالح / ص ٢٠ وما بعدها فى الهامش / علوم الحديث ومصطلحه – طبعة دار

رغم أنها المصدر الثانى من مصادر الاسلام ، وأن التدوين كان هو الاسلوب الوحيد للحفاظ عليها وصيانتها من الضياع والتحريف ، فقد أخرج الهروى فى ذم الكلام عن طريق يحيى بن سعد عن عبد الله بن دينار قال : لم يكن الصحابة ، ولا التابعون ، يكتبون الاحاديث ، وإنما كانوا يودنها لفظا ويأخذونها حفظا. (٦٤)

بل إن الخليفة الثانى – على ما فى طبقات ابن سعد – ظل يفكر فى الموقف الافضل تجاه سنة الرسول ، واستمر به التفكير شهرا ثم أعلن منعه عن تسجيل شئ من ذلك. (٦٥)

وبقيت سنة الرسول الاعظم التى هى أهم مصدر للاسلام بعد الكتاب الكريم ، فى ذمة القدر يتحكم فيها الناس تارة ، والتحريف أخرى ، وموت الحفاظ ثالثة ، طيلة مائة وخمسين سنة تقريبا. (٦٦)

ويستثنى من ذلك اتجاه أهل البيت ، فإنهم دابوا على التسجيل والتدوين منذ العصر الاول ، وقد استفاضت رواياتنا عن أئمة أهل البيت بأن عندهم كتاب ضخما مدونا بإملاء رسول (صلى الله عليه

* ❊ (هامش) ❊

=العلم للملايين .

(٦٤)راجع المصدر السابق ، وراجع : سنن الدارمى / ج ١ / ص ١١٩ / باب من لم ير كتابة الحديث.

(٦٥)الطبقات الكبرى / ابن سعد / ج ٣ / ص ٢٨٧ – طبعة دار بيروت / ١٤٠٥.

(٦٦)كان أول تدوين رسمى للسنة على يد محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى (ت ١٢٤ ه) ، بأمر من عمر بن عبد العزيز ونقل عنه قوله " لم يدون هذا العلم أحد قبل تدوينى . . . " . . . وكان ذلك بداية المائة الثانية من الهجرة ،

راجع علوم الحديث ومصطلحه / الدكتور صبحى الصالح / ص ٤٦

)إن مذهباً يثبت نفسه من كتب خصمه أحق أن يتبع ، وإن مذهبا يحتج عليه بما فى كتبه فيلجأ للتأويل والتحوير أحق أن يتجنب عنه(

وآله) وخط على بن أبى طالب (عليه السلام (٦٧) (فيه جميع سنن رسول الله (صلى الله عليه وآله. (

فهل ترى بربك أن ذلك الاتجاه الساذج – إن كانت المسالة مسألة سذاجة – الذى ينفر من السؤال عن واقعة قبل حدوثها ويرفض تسجيل الجديدة وقيادتها فى أهم وأصعب مراحل مسيرتها الطويلة ؟ ؟!

أو هل ترى بربك أن الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) كان يترك سنته مبعثرة بدون ضبط وتسجيل مع أنه يأمر بالتمسك بها ؟ (٦٨) أو لم يكن من الضرورى إذا كان يمهد لفكرة الشورى حقا أن يحدد للشورى دستورها ويضبط سنته

لكى تسير الشورى على منهاج ثابت محدد لا تتلاعب به الاهواء ؟ . (٦٩) أو ليس التفسير الوحيد المعقول لهذا المقوف من النبى أنه كان قد أعد الامام عليا للمرجعية وزعامة التجربة بعده ، وأودعه سنته

* ❊ (هامش) ❊

(٦٧)أصول الكافى / ج ١ / ص ٢٤١ / ٢٤٢ ، باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة . . . / نشر دار الكتب الاسلامية / طهران ١٣٨٨ ه

(٦٨)كما فى حديث الثقلين " : إنى تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى . " . . . وقد مر تخريجه ، راجع مثلا صحيح مسلم / ج ٤ / ص ١٨٧٤ ، وراجع الاصول العامة / محمد تقى الحكيم / بحث السنة.

(٦٩)أشرنا إلى مسالة الاضطراب فى قضية الشورى واختلاف معاييرها ومعالمها من خلافة الى اخرى فى الهامش رقم (٥٠)

وراجع : السقيفة والخلافة / عبد الفتاح عبد المقصود / ص ٢٦٤

كاملة ، وعمله ألف باب من العلم. (٧٠)

وقد أثبت الاحداث – بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله) أن جيل المهاجرين والانصار ، لم يكن يملك اى تعليمات محددة عن كثير من المشاكيل الكبيرة التى كان من المفروض أن تواجهها الدعوة بعد النبى ، حتى أن المساحة الهائلة من الارض ،

التى امتد إليها الفتح الاسلامى ، لم يكن لدى الخليفة والوسط الذى يسنده ، أى تصور محدد عن حكمها الشرعى ، وعما إذا كانت تقسم بين المقاتلين أو تجعل وقفا على المسلمين عموما (٧١) ، فهل يمكننا أن نتصور أن النبى يؤكد للمسلمين أنهم

سوف يفتحون أرض كسرى وقيصر (٧٢) ، ويجعل من جيل المهاجرين والانصار القيم على الدعوة ، والمسؤول عن هذا الفتح ، ثم لا يخبره بالحكم الشرعى الذى يجب أن يطبقه على تلك المساحة الهائلة من الدنيا التى سوف يمتد إليها الاسلام ؟

بل إننا نلاحظ أكثر من ذلك أن الجيل المعاصر للرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكن يملك تصورات واضحة محددة حتى فى مجال القضايا الدينية التى كان النبى (صلى الله عليه وآله) يمارسها مئات المرات ، وعلى مرأى ومسمع من الصحابة .
ونذكر على سبيل المثال

* ❊ (هامش) ❊

(٧٠)راجع الارشاد / الشيخ المفيد / ص ٢٢ ، ينابيع المودة / القندوزى / ج ١ / ص ٦٢
وراجع الملحق الذى كتبناه " : الاعداد الفكرى والتربوى لامامة على. " . . .

(٧١)راجع احكام القرآن / ابن عربى / ج ٤ / ص ١٧٧٨ / سورة الحشر ، وراجع : فتوح البلدان / البلاذرى / ص ٢٦٨ .

(٧٢)تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٩٢ فى البشار بفتح أرض كسرى وقيصر – دار الكتب العلمية – بيروت

ص: ٥٠

لذلك ، الصلاة على الميت ، فإنها عبادة كان النبى (صلى الله عليه وآله) قد مارسها علانية مئات المرات ، وأداها فى مشهد عام من المشيعين والمصلين ، وبالرغم من ذلك يبدو أن الصحابة كانوا لا يجدون ضرورة معرفة هذه العبادة مادام النبى

)صلى الله عليه وآله) يؤديها ، وما داموا يتابعون فيها النبى (صلى الله عليه وآله) فى عدد التكبيرات فى صلاة الميت ، "فقد أخرج الطحاوى عن إبراهيم قال : قبض رسول الله ، والناس مختلفون فى التكبير على الجنازة لا تشاء أن تسمع رجلا

يقول سمعت رسول الله يكبر خمسا ، وآخر يقول سمعت رسول الله يكبر أربعا ، فاختلفوا فى ذلك حتى قبض أبو بكر ، فلما ولى عمر ، ورأى اختلاف الناس فى ذلك ، شق عليه حدا ، فأرسل الى رجال من أصحاب رسول الله فقال " : إنكم معاشر

أصحاب رسول الله متى تختلفون على الناس يختلفون من بعدكم ، ومتى تجتمعون على أمر يجتمع الناس عليه ، فانظروا ما تجتمعون عليه ، فكانما أيقظهم ، فقالوا : نعم ما رأيت يا أمير المؤمنين. (٧٣) "

وهكذا نجد أن الصحابة كانوا فى حياة النبى (صلى الله عليه وآله) يتكلون غالبا على شخص النبى (صلى الله عليه وآله) ، ولا يشعرون بضرورة الاستيعاب المباشر للاحكام والمفاهيم ماداموا فى كتب النبى (صلى الله عليه وآله . (٧٤) (

* ❊ (هامش) ❊

(٧٣)راجع : عمدة القارى شرح صحيح البخارى / ج ٨ / ص ١٣٧ باب التكبير على الجنازة طبعة دار إحياء التراث / بيروت (الشهيد(

(٧٤)راجع : تمهيد لتاريخ الفلسفة / د . مصطفى عبد الرزاق / ص ٢٧٢

ص: ٥١

وقد تقول إن هذه الصورة التى عرضت عن الصحابة ، وما فيها من أرقام على عدم كفائتهم للقيادة يتعارض مع ما نؤمن به جميعا من أن التربية النبوية أحرزت درجة هائلة من النجاح ، وحققت جيلا رساليا رائعا. !

والجواب : إنا بما قدمناه قد حددنا الصورة الواقعية لذلك الجيل الواسع الذى عاصر وفاة النبى (صلى الله عليه وآله) دون أن نجد فى ذلك ما يتعارض مع التقييم الايجابى بدرجة عالية للتربية النبوية التى مارسها الرسول (صلى الله عليه وآله) فى

حياته الشريفة ، لاننا فى نفس الوقت الذى نؤمن فيه بأن التربية النبوية كانت مثلا ربانيا رائعا وبعثا رساليا متميزا فى تاريخ العمل النبوى على مر الزمن نجد أن الايمان بذلك والوصول الى تقييم حقيقى لمحصول هذه التربية ونتائجه ، لا يقوم على أساس ملاحظة الكم ، بصورة منفصلة عن الكيف.

ومن أجل توضيح ذلك خذ هذا المثال ، نفترض مدرسا يدرس عددا من طلبة اللغة الانكليزية وآدابها ، ونريد أن نقيم قدرته التدريسية فإننا لانكتفى بمجرد دراسة مدى وما وصل إليه هؤلاء الطلبة من ثقافة واطلاع على اللغة الانكليزية وآدابها ، وإنما

نربط ذلك بتجديد الزمن الذى مارس فيه المدرس تدريسه لهؤلاء الطلبة وبتجديد الوضع القبلى لهم ، ودرجة قربهم أو بعدهم مسبقا عن أجواء اللغة الانكليزية وآدابها ، وحجم الصعاب والعقبات الاستثنائية التى واجهت عملية التدريس ، وأعاقت سيرة الطبيعى ، والهدف الذى كان المدرس يتوخاه من تدريس (*)

ص: ٥٢

طلبته آداب تلك اللغة ، ونسبة المحصول النهائى لعملية التدريس الى حالات تدريس اخرى مختلفة. (٧٥)

ففى مجال تقييم التربية النبوية يجب أن نأخذ بعين الاعتبار:

أولا : قصر الفترة الزمنية التى مارس النبى (صلى الله عليه وآله) فيها تربيته ، لانها لا تتجاوز تقريبا عقدين من الزمن بالنسبة الى اقدم صحبة من الفلائل الذين رافقوه فى بدايات الطريق ، ولا تتجاوز عقدا واحدا من الزمن بالنسبة الى الكثرة

الكاثرة من الانصار ، ولا تتجاوز ثلاث سنوات أو أربع بالنسبة الى الاعداد الهائلة التى دخلت الاسلام ، ابتداء منذ صلح الحديبية ، واستمرارا الى حين فتح مكة.

ثانيا : الوضع المسبق الذى كان هؤلاء يعيشونه من الناحية الفكرية والروحية والدينية والسلوكية قبل أن يبدأ النبى (صلى الله عليه وآله) بممارسة دوره : وما كانوا عليه من سذاجة وفراغ وعقوبة فى مختلف مجالات حياتهم ، ولا أجدنى بحاجة الى

توضيح إضافى لهذه النقطة ، لانها واضحة بذاتها حيث إن الاسلام لم يكن عملية تغيير فى سطح المجتمع ، بل هو عملية تغيير فى الجذور ، وبناء انقلابى لأمة جديدة : ، وهذا يعنى الفاصل المعنوى الهائل بين الوضع الجديد الذى بدأ النبى (صلى الله عليه وآله) تربيته للأمة فى اتجاهه ، وبين الوضع

* ❊ (هامش) ❊

(٧٥)الثقاتة من الشهيد (رض) الى المعايير الدقيقة فى عملية تقويم العمل التربوى ومحصوله النهائى . وهذا المعايير والملاحظات يمكن الافادة منها فى أية عملية إعداد فكرى أو تربوى . وكذلك فى أى عملية تقييم موضوعى لحالة مشابهة

السابق. (٧٦)

ثالثا : ما زخرت به تلك الفترة من أحداث وألوان الصراع السياسى والعسكرى على جبهات متعددة الامر الذى ميز طبيعة العلاقة بين الرسول الاعظم وصحابته من نوع العلاقة بين شخص كالسيد المسيح وتلامذته ، فلم تكن علاقة مدرس ومرب متفرغ لاعداد تلامذته ، وإنما هى العلاقة التى تتناسب مع موقع الرسول كمرب وقائد حرب ورئيس دولة. (٧٧)

رابعا : ما اجهدته الجماعة المسلمة نتيجة احتكاكها بأهل الكتاب ، وبثقافات دينية متنوعد من خلال صراعها العقائدى الاجتماعى فقد كان هذا الاحتكاك وما يطرحه على الساحة خصوم الدعوة الجديدة المثقفين بثقافات دينية سابقة ، مصدر قلق

وإثارة مستمرة وكلنا نعرف أنه شكل بعد ذلك تيارا فكريا إسرائيليا تسرب بصورة عفوية ، أو بسوء نية الى كثير من مجالات التفكير (٧٨) ، ونظرة فاحصة فى القرآن الكريم تكفى لاكتشاف حجم المحتوى لفكر الثورة

* ❊ (هامش) ❊

(٧٦)راجع ما كان عليه المجتمع العربى والحجازى قبل الاسلام : تاريخ العرب قبل الاسلام / الدكتور جواد على / القسم الدينى ، القسم الاجتماعى.

(٧٧)إن تنوع المسؤوليات وطبيعتها ، والتحديات التى واجهت الرسول القائد كانت من الضخامة بحيث لم يتهيأ للرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) الوقت الكافى ليشمل بتربيته وتثقيفه القطاعات الواسعة من الامة . راجععلوم القرآن / محمد باقر الحكيم / ص ٩٦ - ١٠٠

(٧٨)راجع : الاسرائيليات فى التفسير والحديث / الدكتور محمد حسين الذهبى / دار الايمان دمشق / ١٩٨٥) .

المضادة ، ومدى اهتمام الوحى برصدها مناقشة أفكارها. (٧٩)

خامسا : إن الهدف الذى كان يسعى المربى الاعظم (صلى الله عليه وآله) لتحقيقه على المستوى العام ، وفى تلك المرحلة هو إيجاد القاعدة الشعبية الصالحة ، التى يمكن لزعامة الرسالة الجديدة – فى حياته أو بعد وفاته – أن تتفاعل معها ، وتواصل

عن طريقها التجربة ، ولم يكن الهدف المرحلى وقتئذ ، تصعيد الامة الى مستوى هذه الزعامة نفسها ، بما تتطلبه من فهم كامل للرسالة ، وتفقه شامل على أحكامها ، والتحام مطلق مع مفاهيما.

وتجديد الهدف فى تلك المرحلة ، بالدرجة التى ذكرناها كان امرا منطقيا تفرضه طبيعة العمل التغييرى ، إذ ليس من المعقول أن يرسم الهدف إلا وفقا لممكنات عملية ، ولا إمكان عملى فى حالة كالحالة التى واجهها الاسلام إلا ضمن الحدود التى

ذكرناها ، لان الفاصل المعنوى والروحى والفكرى والاجتماعى بين الرسالة الجديدة وبين الواقع الفاسد القائم ، وقتئذ ، كان لا يمسح بالارتفاع بالناس إلى مستوى زعامة هذه الرسالة مباشرة.

وهذا ما سنشرحه فى النقطة التالية (٨٠) ونبرهن عن طريقه على أن استمرار الوصاية على التجربة الانقلابية الجديدة ، متمثلة فى إمامة

* ❊ (هامش) ❊

(٧٩)لا حظ سورة (المنافقون) فى القرآن الكريم . ولا حظ حركة وتحركات اليهود والادوار التى لعبوها فى التاريخ الاسلامى ،
راجع : اسرائيليات فى القرآن / محمد جواد مغنية – طبعة بيروت.

(٨٠)أى فى الفصل القادم " الطريق الثالث

أهل البيت وخلافة على (عليه السلام) ، كانت أمرا ضروريا يفرضه منطق العمل التغييرى على مسار التاريخ.

سادسا : إن جزءا كبيرا من الامة التى تركها النبى (صلى الله عليه وآله) بوفاته كان يمثل مسلمة الفتح ، أى المسلمين الذين دخلوا الاسلام بعد فتح مكة (٨١) ، وبعد ان أصبحت الرسالة الجديدة سيدة الموقف فى الجزيرة العربية سياسيا وعسكريا.

وهؤلاء لم يتح للرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) أن يتفاعل معهم فى الفترة القصيرة التى أعقبت الفتح إلا بقدر ضيئل ، وكان جل تفاعله معهم بوصفه حاكما ، بحكم المرحلة التى كانت الدولة الاسلامية تمر بها ، وفى هذه المرحلة برزت فكرة

المؤلفة قلوبهم ، والتى أخذت موضعها فى تشريع الزكاة (٨٢) ، وفى اجراءات اخرى ولم يكن هذا الجزء من الامة مفصولا عن الاجزاء الاخرى بل كان مندمجا فيها ، ومؤثرا ، ومتاثرا فى نفس الوقت.

ففى إطار هذه الامور الستة نجد أن التربية النبوية أنتجت إنتاجا عظيما ، وحققت تحولا فريدا ، وأنشات جيلا صالحا مؤهلا لما استهدفه النبى من تكوين قاعدة شعبية صالحة للالتفات حول الزعامة القائدة للتجربة الجديدة وإسنادها ، ولهذا نجد أن ذلك

الجيل كان يؤدى دوره كقاعدة شعبية صالحة مادامت الزعامة القائدة الرشيدة كانت قائمة فى شخص النبى ، ولو قدر لهذه الزعامة أن تأخذ مسارها الربانى لظلت

❊ (هامش) ❊

(٨١)راجع تفسير الكشاف / الزمخشرى / ج ٤ / ص ٨١٠ / تفسير سورة النصر.

(٨٢)كما جاء فى قوله تعالى) : إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله (. . . التوبة(*) . ٦٠ /

القاعدة تؤدى دورها الصالح ، غير أن هذا لا يعنى - بحال من الاحوال - أنها مهيأة فعلا لكى تتسلم هذه الزعامة ، وتقود بنفسها التجربة الجديدة ، لان هذه التهيئة تتطلب درجة أكبر من الانصهار الروحى والايمانى بالرسالة ، وإحاطة أو سع كثيرا

باحكامها ومفاهيمها ووجهات نظرها المختلفة عن الحياة ، وتطهيرا أشمل لصفوفها من المنافقين والمندسين والمؤلفة قلوبهم ، الذين كانوا لا يزالون يشكلون جزءا من ذلك الجيل له أهميته العددية (٨٣) ، ومواقعه التاريخية ، كما أن له آثاره السلبية ،

بدليل حجم ما تحدث به القرآن الكريم عن المنافقين ومكائدهم وموافقهم (٨٤) ، مع تواجد أفراد فى ذلك الجيل قد استطاعت التجربة أن تبنيهم بناء رساليا رفيعا ، وتصهرهم فى وقتها ، كسلمان وأبى ذر وعمار وغيرهم. (٨٥)

أقول : أن تواجد هؤلاء الافراد ضمن ذلك الجيل الواسع لا يبرهن على أن ذلك الجيل ككل بلغ الى الدرجة التى تبرر إسناد مهام التجربة إليه على أساس الشورى.

وحتى اولئک الافراد الذين مثلوا النمط الرفيع رساليا من ذلک الجيل لا يوجد فى أكثرهم ما يبرر افتراض كفايتهم الرسالية لزعامة التجربة من الناحية الفكرية والثقافية

* ❊ (هامش) ❊

(٨٣)يظهر أنهم من الكثرة بحيث شكلوا عبئا على الموارد المالية للدولة ، مما دفع الخليفة الثانى الى إلغائها بحجة أن الاسلام صار عزيزا قويا.

(٨٤)راجع تفسير سورة (المنافقون) فى كتب التفاسير.

(٨٥)قال رسول الله " : إن الله أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم : على وأبو ذر والمقداد وسلمان " سنن ابن ماجه / ج ١ / ص ٦٦ ، وراجع التاج الجامع للاصول / ج ٣ / ص ٤٠٥

على رغم شدة إخلاصهم ، وعمق ولائهم ، لان الاسلام ليس نظرية بشرية لكى يتحدد فكريا من خلال الممارسة والطبيق (٨٦)، وتتبلور مفاهيمه عبر التجربة المخلصة ، وإنما هو رسالة الله التى حددت فيها الاحكام والمفاهيم وزودت ربانيا بكل

التشريعات العامة التى تتطلبها التجربة (٨٧) ، فلا بد لزعامة هذه التجربة من استيعاب الرسالة بحدودها وتفاصيلها ، ومن وعى بكل أحكامها ومفاهيما * (٨٨) وإلا اضطراب الى استلهام مسبقاتها الذهنية ومرتكزاتها القبلة وأدى ذلک الى نكسة فى

مسيرة التجربة ، وبخاصة إذا لاحظنا أن الاسلام كان هو الرسالة الخاتمة من رسالات السماء التى يجب أن تمتد مع الزمن ، وتتعدى كل الحدود الوقتية والاقليمية والقومية (٨٩) ، الامر الذى لا يسمع بأن تمارس زعامته التى تشكل الاساس لک ذلک

الامتداد ، تجارب الخطا والصواب ، التى تتراكم فيها الاخطاء عبر فترة من الزمن حتى تشكل ثغرة تهدد ، التجربة بالسقوط والانهيار . (٩٠)

* ❊ (هامش) ❊

(٨٦)من المقولات الشائعة فى أوساط أصحاب النظريات وعند المفكرين : أن النظرية تغتنى بالتطبيق ولذلک ينبه الشهيد الصدر على أن الاسلام ليس من هذا القبيل.

(٨٧)لاحظ قوله تعالى . . .) : ما فرطنا فى الكتاب من شئ (. . . الانعام ٣٨ /
وقال تعالى . . .) : ونزلنا عليک الكتاب تبيانا لكل شئ (. . . النحل ٨٩ /
وقال تعالى . . .) : وما آتاكم الرسول فحدوه وما نهاكم عنه فانتهوا (. . . الحشر. ٧ /

(٨٨)راجع الدراسة التى الحقت بالبحث فى الاخر.

(٨٩)قال تعالى) : وما ارسلناک إلا كافة للناس (. . . سبا ٢٨ / وقال تعالى) : وما ارسلناک إلا رحمة للعالمين (الانبياء. ١٠٧ /

(٩٠)لقد أراد نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) تجنيب أمته مرارة ومانات تجربة الخطا

ص: ٥٨

وكل ما تقدم يدل على أن التوعيد التى مارسها النبى (صلى الله عليه وآله) على المتسوى العام للمهاجرين والانصار ، لم تكن بالدرجة التى يتطلبها إعداد القيادة الواعية الفكرية والسياسية لمستقبل الدعوة وعملية التغيير ، وإنما كانت توعية بالدرجة التى بنى القاعدة الشعبية الواعية التى تلتف حول قيادة الدعوة فى الحاضر والمستقبل.

وأى افتراض يتجه الى القول بأن النبى (صلى الله عليه وآله) كان يخطط لاسناد قيادة التجربة والقيمومة على الدعوة بعده مباشرة الى جيل المهاجرين والانصار ، يحتوى ضمنا اتهام اذكى وأبصر قائد رسالى فى تاريخ العمليات التغييرية ، بعدم

القدرة على التمييز بين الوعى المطلوب على مستوى القاعدة الشعبية للدعوة والوعى المطلوب على مستوى قيادة الدعوة وإمامتها الفكرية والسياسية .

* ❊ (هامش) ❊

=والصواب وما يمكن أن تجره على الامة المسلمة من ويلات وآلام وتيه فقال " : هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى أبدا (. . .ولكن الرزيد كل الرزية – على حد تعبير ابن عباس أن منع رسول الله من ذلك .

راجع القصة فى صحيح البخارى / ج ٨ ص ١٦١ باب الاعتصام

النقطة الثالثة : إن الدعوة عملية تغيير ، ومنهاج حياة جديد ، وهى تستهدف بناء أمة من جديد واقتلاع كل جذور الجاهلية ورواسبها من وجودها.

والامة الاسلامية – ككل – لم تكن قد عاشت فى ظل عملية التغيير هذه إلا عقدا واحدا من الزمن على أكثر تقدير ، وهذا الزمن

القصير لا يكفى – عادة – فى منطق الرسالات العقائدية ، والدعوات التغييرية ، لارتفاع الجيل الذى عاش فى كنف الدعوة عشر سنوات فقط الى درجة من الوعى والموضوعية والتحرر من رواسب الماضى(٩١) ، والاستيعاب لمعطيات الدعوة

الجديدة ، تؤهله للقيمومة على الرسالة وتحمل مسؤوليات الدعوة ومواصلة عملية التغيير بدون قائد ، بل إن منطق الرسالات العقائدية يفرض أن تمر الامة بوصاية عقائدية فترة أطول من الزمن ، تهيؤها للارتفاع إلى مستوى تلك القيمومة. (٩٢)

وليس هذا شيئا نستنتجه استنتاجا فحسب ، وإنما يعبر أيضا عن الحقيقة التى برهنت عليها الاحداث بعد وفاه القائد الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وتجلت عبر نصف قرن أو أقل من خلال ممارسة جيل المهاجرين والانصار لامامة الدعوة والقميومة عليها ، إذ لم يمض على هذه القيمومة ربع قرن حتى بدأت الخلافة الراشدة والتجربة

* ❊ (هامش) ❊

(٩١)لاحظ حدوث حالات النكوص والارتداد بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ولاحظ المفارقات والمخالفات الصريحة لمتبنيات الاسلام وأخلاقيته فيما أقدم عليه حتى بعض القادة العسكريين الكبار ،

كما حصل من مثل خالد بن الوليد ، إذا تهمه الخليفة الثانى عمر فى قصة مالک بن نويرة فقال عن خالد : انه قتل امرأ مسلما – يعنى مالک بن نويره – ونزل على امراته . راجع : تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٢٨٠ ، الطبعة المحققة / دار التراث بيروت.

(٩٢)كان هذا منطق الرسالات السابقة ، كما فى وراثة سليمان لداود ، وكما فى خلافة هارون عن موسى " : قال اخلفنى فى قومى وأصلح . " . . . ثم هو يقتضيه منطق الاشياء ، ومنطق الشريعة الخاتمة – راجع الملحق

الاسلامية ، التى تولى جيل المهاجرين والانصار قيادتها تنهار تحت وقع الضربات الشديدة التى وجهها أعداء الاسلام القدامى (٩٣، ولكن من داخل إطار التجربة الاسلامية لامن خارجها ، إذا استطاعوا أن يتسللوا الى مراكز النفوذ فى التجربة

بالتدريج ، ويستغلوا القيادة غير الواعية ، ثم صادروا بكل وقاحة وعنف ، تلک القيادة ، وأجيروا الامة وجيلها الطليعى الرائد على التنازل عن شخصيته وقيادته ، وتحولت الزعامة الى ملک موروث (٩٤) ، يستهتر بالكرامات ويقتل الابرياء (٩٥) ، ويبعثر الاموال (٩٦) ، ويعطل الحدود ، ويجمد الاحكام (٩٧) ، ويتلاعب

* ❊ (هامش) ❊

(٩٣)يقصد بهم من أسلم زمن الفتح – فتح مكة – وكان من المؤلفة قلوبهم أبو سفيان ومعاوية . تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ١٧٥.

(٩٤)راجع : المقدمة / ابن خلدون / ص ٢٢٧ / انقلاب الخلافة الى ملک طبعة دار الجيل ، وقد نقل ابن الاثير / ج ٣ / ص ١٩٩ (طبعة الحلبى) عن عبد الرحمن بن أبى بكر ، وهو يقاطع مروان حين كان يخطب على منبر المدينة ، مدافعا عن وجهه نظر معاوية ،

إذ صاح به عبد الرحمن قائلا : كذبت والله وكذب ، معاوية ، ما الخيار أردتما لامة محمد ، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام . . . وراجع تاريخ الخلفاء السيوطى / ص ٢٠٣ .

(٩٥)نقل ابن الاثير / ج ٣ / ص ٤٨٧ : عن الحسن البصرى – وهو من أجلاء التابعين المشهورين – أنه قال : أربع خصال كن فى معاوية ، لو لم تكن فيه إلا خصلة واحدة لكانت موبقة ، انتزاؤه على هذه الامة بالسيف حتى أخذ الامر من غير مشورة ، وفيهم بقايا

الصحابة وذوو الفضلية ، واستخلافه بعده ابنه يزيد سكيرا ، وادعاؤه زيادا ، وقتله حجر بن عدى وأصحاب حجر ، فيا ويلا له من حجر ، ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر . . .

(٩٦)راجع : التاج الجامع للاصول / ج ٥ / ص ٣١٠ ،
وراجع للتفصيل ، العدالة الاجتماعية فى الاسلام / الشهيد سيد قطب / ص ٢٣١ وما بعدها.

(٩٧)راجع ما نقله السيوطى فى تاريخه / ص ٢٠٩ وما بعدها : ما ارتكبه يزيد من المنكرات

ص: ٦١

بمقدرات الناس ، وأصبح الفئ والسواد بستانا لقريش ، والخلافة كرة يتلاعب بها صبيان بنى امية. (٩٨)

فواقع التجربة بعد النبى ، وما تمخض عنه بعد ربع قرن من نتائج يدعم الاستنتاج المتقدم ، الذى يؤكد أن إسناد القيادة والامامية الفكرية والسياسية لجيل المهاجرين والانصار عقيب وفاة النبى (صلى الله عليه وآله) مباشرة إجراء مبكر ، وقبل وقته الطبيعى ولهذا ليس من المعقول أن يكون النبى قد اتخذ إجراء من هذا القبيل .

* ❊ (هامش) ❊
=الشيعة ، من قتله ريحانة رسول الله الحسين (عليه السلام) ، وسبى حرم رسول الله ، من ضرب الكعبة ، واستباحة المدينة المنورة وقتل أهلها والاعتداء على النواميس.

(٩٨)يريد قول أبى سفيان لعثمان حين توليه الخلافة . / راجع تاريخ الخلفاء السيوطى / ص ٢٠٩ .
وراجع : النزاع والتخاصم بين بنى هاشم وبنى أمية / المقريزى / ص ٥٦ / تحقيق الدكتور مؤنس

ص: ٦٤

الامة وبناءها عقائديا ، وتقريبها باستمرار نحو المستوى الذى يؤهلها لتحمل المسؤوليات القيادية . وهكذا نجد أن هذا هو الطريق الوحيد الذى كان بالامكان أن يضمن سلامة مستقبل الدعوة ، وصيانة التجربة فى خط نموها وهكذا كان. (١٠١)

وليس ما تواتر عن النبى (صلى الله عليه وآله) من النصوص التى تدل على أنه كان يمارس إعداد رساليا وتثقيفا عقائديا خاصا لبعض الدعاة على مستوى يهيئه للمرجعية الفكرية والسياسية ، وإنه (صلى الله عليه وآله) قد عهد إليه بمستقبل

الدعوة ، وزعامة الامة من بعده ، فكريا وسياسيا (١٠٢) ، ليس هذا إلا تعبيرا عن سلوك القائد الرسول (صلى الله عليه وآله) للطريق الثالث الذى كانت تفرضه ، وتدل عليه من قبل ذلك طبيعة الاشياء كما عرفنا.

ولم يكن هذا الشخص الداعية المرشح للاعداد الرسالى القيادى ، والمنصوب لتسلم مستقبل الدعوة ، وتزعمها فكريا وسياسيا ، إلا على بن أبى طالب ، الذى رشحه لذلك عمق وجوده فى كيان الدعود ، وإنه المسلم الاول ، والمجاهد الاول فى سبيلها

عبر كفاحها المرير ضد كل أعدائها ، وكذلك عمق وجوده فى حياة القائد الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وإنه ربيبه الذى فتح عينيه فى حجره ، ونشأ فى

* ❊ (هامش) ❊

(١٠١)إذ لم تهيئةالخليفة القائد – وتم تعيينه فعلا – كما هو تصريح النصوص .

(١٠٢)راجع ما نقلناه من الصنوص المعتبرة عن إخواننا السنة / فى الملحق

كنفه ، وتهيأت له من فرص التفاعل معه والاندماج بخطه ، ما لم يتوفر لاى إنسان آخر. (١٠٣)

والشواهد من حياة النبى والامام على ، على أن النبى (صلى الله عليه وآله) كان يعد الامام اعدادا رساليا خاصا ، كثيرة جدا ، فقد كان النبى يخصه بكثير من مفاهيم الدعوة وحقائقها ، ويبدؤه ، بالعطاء الفكرى والتثقيف إذا استنفذ الامام أسئلته(١٠٤)

، ويختلى به الساعات الطوال فى الليل والنهار ، يفتح عينيه على مفاهيم الرسالة ومشاكل الطريق ، ومناهج العمل الى آخر يوم من حياته الشريفة.

روى الحاكم فى المستدرک بسنده عن أبى إسحاق ، سالت القاسم بن العباس " كيف ورث على رسول الله ؟ قال : " لانه كان أولنا به لحوقا وأشدنا به لزوقا. (١٠٥) " . . .

وفى حلية الاولياء عن ابن عباس أنه يقول " : كنا نتحدث أن النبى (صلى الله عليه وآله) عهد الى على بسبعين عهدا ، لم يعهد إلى غيره . (١٠٦) "

* ❊ (هامش) ❊

(١٠٣)راجع خطبة الامام على (عليه السلام) الشهيرة بالقاصعة – كما ذكرها فى الملحق – نهج البلاغه / ص ٣٠٠ / ٣٠١ ضبط الدكتور صبحى الصالح.

(١٠٤)جاء عن الامام على (عليه السلام) أنه قال " : كنت إذا سألته – أى رسول الله – أعطانى وإذا سكت ابتدأنى . . . "السنن الكبرى / النسائى / ج ٥ / ص ١٤٢ ، الصواعق المحرقة / ص ١٢٧.

(١٠٥)المستدرک على الصحيحين / الحاكم النيسابورى / ج ٣ / ص ١٣٦ حديث رقم ٤٦٣٣ طبعة دار الكتب العلمية – بيروت.

(١٠٦)حلية الاولياء / لابى نعيم / ج ١ / ص ٦٨ ، طبعة دار الكتاب العربى بيروت – ط ٥ / ١٤٠٧ ه

وروى النسائى فى الخصائص عن الامام على أنه يقول " : كانت لى منزلة من رسول الله لم تكن لاحد من الخلائق ، كنت أدخل على نبى الله كل ليلة ، فإن كان يصلى سبح فدخلت ، وإن لم يكن يصلى أذن لى فدخلت. (١٠٧) "

وروى أيضا عن الامام على (عليه السلام) قوله " : كان لى من النبى مدخلان مدخل بالليل ومدخل بالنهار ١٠٨) " . . .)

وروى النسائى عن الامام أيضا انه كان يقول " : كنت إذا سألت رسول الله اعطيت ، وإذا سكت ابتدائى. (١٠٩) " . . .

ورواه الحاكم فى المستدرک أيضا ، وقال : صحيح على شرط الشيخين. (١١٠)

وروى النسائى عن ام سلمة أنها كانت تقول : " والذى تحلف به أم سلمة : إن أقرب الناس عهدا برسول الله (صلى الله عليه وآله) على قالت : لما كانت غداة قبض رسول الله ، فأرسل إليه رسول الله ، وأظنه كان بعثه فى حاجة ، فجعل يقول : جاء

على ؟ ثلاث مرات ، فجاء قبل طلوع الشمس ، فلما أن جاء عرفنا أن له إليه حاجة ، فخرجنا من البيت ، وكنا عند رسول الله يومئذ فى بيت عائشة ، وكنت فى آخر من خرج من البيت ، ثم جلست وراء الباب ، فكنت أدناهم الى الباب ،

* ❊ (هامش) ❊

(١٠٧)السنن الكبر ى – الخصائص ج ٥ / ص ١٤٠ ح / ٨٤٩٩ / ١.

(١٠٨)المصدر السابق / ج ٥ / ص ١٤١.

(١٠٩)المصدر السابق / ج ٥ / ص ١٤٢.

(١١٠)المستدرک / ج ٣ / ص ١٣٥ – حديث برقم ٤٦٣٠ – تحقيق مصطفى عبد القادر عطا / طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١ ه

فاكب عليه على فكان آخر الناس به عهدا ، فجعل يساره ويناجيه. (١١١)

وقال أمير المومنين فى خطبته القاصعة الشهيرة ، وهو يصف علمتم موضعى من رسول الله بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعنى فى حجره وأنا ولد ، يضمنى إلى صدره ، ويكنفنى فى فراشه ، ويمسنى جسده ، ويشمنى عرفه ،

وكان يمضغ الشئ ثم يلقمنيه ، وما وجد لى كذبة فى قول ، ولا خطلة فى فعل . . . ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل لاثر أمه ، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما ، ويأمرنى بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيرى ،

ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحى والرسالة ، وأشم ريح النبوة . . . (١١٢) " .

إن هذه الشواهد ، وشواهد أخرى كثيرة ، تقدم لنا صورة عن ذلک الاعداد الرسالى الخاص الذى كان النبى (صلى الله عليه وآله) يمارسه فى سبيل توعية الامام على المتسوى القيادى للدعوة.

كما إن فى حياة الامام على (عليه السلام) بعد وفاة القائد الرسول (صلى الله عليه وآله) أرقاما كثيرة جدا تكشف عن ذلك الاعداد العقائدى الخاص للامام على (عليه السلام) من قبل النبى (صلى الله عليه وآله) ،

* ❊ (هامش) ❊

(١١١)السنن الكبرى / النسائى / ج ٥ / ص ١٥٤ باب ٥٤ ، وراجع الرواية فى مختصر تاريخ ابن عساكر / ج / ١٨ص ٢١.

(١١٢)نهج البلاغة / ضبط الدكتور صبحى الصالح / خطبة رقم ١٩٢

بما تعكسه من آثار ذلك الاعداد الخاص ونتائجه . فقد كان الامام هو المفزع والمرجع لحل اى مشكلة يستعصى حلها على القيادة الحاكمة وقتئذ. (١١٣)

ولا نعرف فى تاريخ التجربة الاسلامية على عهد الخلفاء واقعة واحدة رجع فيها الامام الى غيره لكى يتعرف على رأى الاسلام وطريقة علاجه للموقف ، بينما نعرف فى التاريخ عشرات الوقائع التى أحست القيادة الاسلامية الحاكمة بضرورة الرجوع الى الامام على رغم تحفظاتها فى هذا الموضوع.

وإذا كانت الشواهد كثيرة على أن النبى (صلى الله عليه وآله) كان يعد الامام إعداد خاصا لمواصلة قيادة الدعوة من بعده ، فالشواهد الفكرية والسياسية رسميا الى الامام على (عليه السلام) لا تقل عنها كثرة ،

كما نلاحظ ذلك فى حديث الدار (١١٤) ، وحديث الثقلين (١١٥) ، وحديث المنزلة (١١٦) ، وحديث الغدير ١١٧) (، وعشرات النصوص النبوية

* ❊ (هامش) ❊

(١١٣)راجع الملحق ، وراجع تاريخ الخلفاء / السيوطى / ص ١٧٠ / ١٧٢ .
قال عمر بن الخطاب " : لا أبقانى الله لمعظلة ليس لها أبو الحسن " الصواعق المحرقة / ابن حجر / ص ١٢٧.

(١١٤)حديث الدار : عند ما نزل قول تعالى) : وانذر عشيرتک الاقربين (راجع تفسير الخازن / ج ٣ / ص ٣٧١ ، دار المعرفة – بيروت.

(١١٥)حديث الثقلين أخرجه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، راجع : صحيح مسلم / ج ٤ ص ١٨٧٣ ، صحيح الترمذى / ج ٥ / ص ٥٩٦ – تحقيق كمال الحوت / طبعة دار الفكر.

(١١٦)حديث المنزلة : " انت منى بمنزلة هرون من موسى " . . . صحيح البخارى / ج ٥ / ص ٨١ / باب ٣٩.

(١١٧)حديث الغدير : راجع سنن ابن ماجة / المقدمة / باب ١١ / ج ١ ص ٤٣ ، ومسند الامام أحمد / ج ٤ / ص ٢٨١ – طبعة دار صادر – بيروت

الاخرى. (١١٨)

وهكذا وجد التشيع فى إطار الدعوة الاسلامية متمثلا فى هذه الاطروحة النبوية التى وضعها النبى (صلى الله عليه وآله) – بأمر من الله . للحفاظ على مستقبل الدعوة.

وهكذا وجد التشيع لا كظاهرة طارئة على مسرح الاحداث ، بل كنتيجة ضرورية لطبيعة تكون الدعوة وحاجاتها وظروفها الاصلية التى كانت تفرض على الاسلام أن يلد (التشيع) ، وبمعنى آخر كانت تفرض على القائد الاول للتجربة أن يعد للتجربة قائدها الثانى. (١١٩)

الذى تواصل على يده ويد خلفائه نموها الثورى ، وتقترب نحو اكتمال هدفها التغييرى فى اجتثاب كل وراسب الماضى الجاهلى وجذوره ، وبناء امة جديدة على مستوى متطلبات الدعوة ومسؤولياتها .

* ❊ (هامش) ❊

(١١٨)راجع ملحق البحث فى بسط هذا المطلب والتوسع فيه.

(١١٩)راجع مختصر تاريخ ابن عساكر / ج ١٨ / ص ٣٥ : قول الخليفة الثانى لاصحاب الشورى

ص: ٧١

الفصل الثانى نشأة الشيعة

المبحث الاول * نشوء اتجاهين رئيسين فى حياة النبى (ص)

المبحث الثانى * المرجعية الفكرية والمرجعية القيادية

المبحث الثالث * التشيع الروحى والتشيع السياسى

ص: ٧٣

تمهيد عرفنا كيف ولد (التشيع) ، وأما كيف ولد " الشيعة " ونشأ الانقسام على أساس ذلك فى الأمة الاسلامية ، فهذا ما سنجيب عنه الان : إننا إذا تتبعنا المرحلة الاولى من حياة الامة الاسلامية ، فى عصر النبى (صلى الله عليه وآله) نجد أن

اتجاهين رئيسين ومختلفين قد رافقا نشوء الامة وبداية التجربة الاسلامية منذ السنوات الاولى وكانا يعيشان معا داخل إطار الامة الوليدة التى أنشأها الرسول القائد (صلى الله عليه وآله.)

وقد ادى هذا الاختلاف بين الاتجاهين إلى انقسام عقائدى عقيب وفاة الرسول مباشرة ، شطر الامة الاسلامية الى شطرين ، قدر لاحدهما أن يحكم فاستطاع أن يمتد ويستوعب أكثرية المسلمين ، بينما أقصى الشطر الاخر عن الحكم ، وقدر له أن يمارس وجوده ، كأقلية معارضة ، ضمن الاطار الاسلامى العام ، وكانت هذه الاقلية هى (الشيعة.)

)وهاهنا ثلاثة مباحث . (

ص: ٧٥

المبحث الاول نشوء اتجاهين رئيسين فى حياة النبى (ص) إن الاتجاهين الرئسين اللذين رافقا نشوء الامة الاسلامية فى حياة النبى (صلى الله عليه وآله) منذ البدء هما:

أولا : الاتجاه الذى يؤمن بالتعبد بالدين وتحكيمه والتسليم المطلق للنص الدينى فى كل جوانب الحياة . (١٢٠)

وثانيا : الاتجاه الذى لا يرى أن بالدين يتطلب منه التعبد إلا فى نطاق خاص من العبادات والغيبيات ، ويؤمن بإمكانية الاجتهاد وجواز التصرف على أساسه بالتغيير والتعديل فى النص الدينى وفقا للمصالح فى غير ذلك النطاق من مجالات الحياة(١٢١)

* ❊ (هامش) ❊

(١٢٠)هذا هو اتجاه مدرسة أهل البيت عليهم السلام واتجاه التشيع.

(١٢١)هذا هو اتجاه المدرسة الاخرى من المذاهب السنية

ص: ٧٦

وبالرغم من أن الصحابة ، بوضفهم الطليعة المؤمنة والمستنيرة ، كانوا أفضل وأصلح بذرة لنشوء أمة رسالية ، حتى أن تاريخ الانسان لم يشهد جيلا عقائديا أروع وأنبل وأطهر من الجيل الذى أنشأه الرسول القائد (ص. (

وبالرغم من ذلك نجد من الضرورى التسليم بوجود اتجاه واسع ، منذ كان النبى حيا ، يميل إلى تقديم الاجتهاد فى تقدير المصلحة ، واستنتاجها من الظروف ، على التعبد بحرفية النص الدينى ، وقد تحمل الرسول (صلى الله عليه وآله) المرارة

فى كثير من الحالات بسبب هذا الاتجاه حتى وهو على فراش الموت فى ساعاته الاخيرة على ما يأتى (١٢٢) ، كما كان هناك اتجاه آخر يؤمن بتحكيم الدين والتسليم له والتعبد بكل نصوصه فى جميع جوانب الحياة.

وقد يكون من عوامل انتشار الاتجاه الاجتهادى فى صفوف المسلمين انه يتفق مع ميل الانسان بطبيعته الى التصرف وفقا لمصلحة يدركها وبقدرها ، بدلا عن التصرف وفقا لقرار لا يفهم مغزاه .

* ❊ (هامش) ❊

راجع للتفصيل : معالم المدرستين / العلامة السيد مرتضى العسكرى .

وراجع أيضا : مناهج الاجتهاد – الدكتور محمد سلام مدكور / مطبوعات جامعة الكويت.

(١٢٢)راجع صحيح البخارى / ج ٨ / ص ١٦١ كتاب الاعتصام . لاحظ المواقف التى لم يتعبدوا فيها بالنص . ما حدث فى عدم إنفاذ سرية اسامة ، واعتراضهم وما حدث عند ارادة كتب الكتاب عندما قال النبى (صلى الله عليه وآله) (هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى (. . . ولاحظ الموقف من صلح الحديبية.

راجع كتب التواريخ والرواية فيما ذكرنا . والمناقشة والتفصيل : المراجعات / السيد العلامة عبد الحسين شرف الدين . مؤسسة دار الكتاب اسلامى تحقيق وتعليق حسين الراضى – تقديم الدكتور حامد حفنى والشيخ محمد فكرى أبو النصر(*) .

وقد قدر لهذا الاتجاه ممثلون جريئون من كبار الصحابة من قبيل عمر بن الخطاب الذى ناقش الرسول (صلى الله عليه وآله) ، واجتهد فى مواضع عديدة ، خلافا للنص ايمانا منه بجواز ذلك ما دام يرى أنه لم يخطى المصلحة فى اجتهاده.

وبهذا الصدد يمكننا ان نلاحظ ، موقفه من صلح الحديبية واحتجاجه على هذا الصلح (١٢٣) (، وموقفه من الاذان وتصرفه فيه باسقاط (حى على خير العمل (١٢٤) (وموقفه من النبى حين شرع متعة الحج (١٢٥) الى غير ذلك من مواقفه

* ❊ (هامش) ❊

(١٢٣)راجع السيرة النبوية / لابن هشام / القسم الثانى / ص ٣١٦ / ٣١٧ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين دار الكنوز الادبية بيروت . وراجع أيضا : تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ١٢٢.

(١٢٤)راجع شرح التجريد / القوشجى / آخر مبحث الامامة قال : كانت همم اولى الامر منصرفة الى نشر الدعوة الاسلامية وفتح المشارق والمغارب وفتح الممالك لا يكون الا بتشويق الجند الى التورط فى سبيله بالمهالك ، بحيث يشربون فى قلوبهم الجهاد ، حتى

يعتقدون أنه خير عمل يرجونه ، يوم المعاد . ولذا ترجح فى نظر هم إسقاط هذا الفصل يعنى حى على خير العمل – فى الاذان – تقديما لتك المصلحة على التعبد بما جاء به الشرع الاقدس ، فقال الخليفة الثانى على المنبر : ثلاث كن على عهد رسول الله ، وأنا أنهى عنهن ، وأحرمهن ، وأعاقب عليهن ، متعة النساء ومتعة الحج ، وحى على خير العمل.

(١٢٥)التاج الجامع للاصول فى احاديث الرسول / الشيخ منصور على ناصف من علماء الازهر الشريف / ج ٢ / ص ١٢٤ – كتاب الحج – عن ابى حمزه الضبعى قال : تمتعت فنهانى ناس عن ذلك فسالت ابن عباس ، فأمرنى بها ثم انطلقت الى البيت فتمت فأتانى آت فى

منامى فقال : عمرة متقبلة وحج مبرور قال : فاتيت ابن عباس فاخبرته بما رايت فقال : الله اكبر الله اكبر سنة ابى القاسم (صلى الله عليه وآله) ورواه مسلم والبخارى. . .

وعن عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة فى كتاب الله ففعلناه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يحرمها قرآن ، ولم ينه عنها حتى ورواه الشيخان قال الشيخ ناصف فى الهامش

الاجتهادية. (١٢٦)

وقد انعكس كلا الاتجاهين فى مجلس الرسول (صلى الله عليه وآله) فى آخر يوم من أيام حياته فقد روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال : لما حضر رسول الله الوفاة وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال النبى (صلى الله

عليه وآله) هلم اكتب الكم كتابا لن تضلوا بعده . فقال عمر : إن النبى (صلى الله عليه وآله) قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول ، قربوا يكتب لكم النبى كتابا لن تضلوا بعده ،

ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبى قال لهم : قوموا. (١٢٧)

وهذه الواقعة وحدها كافية للتدليل على عمق الاتجاهين ، ومدى التناقض والصراع بينهما . ويمكن أن نضيف إليها – لتصوير عمق الاتجاه الاجتهادى وروسوخه – ما حصل من نزاع وخلاف بين الصحابة حول تأمير اسامة ابن زيد على الجيش بالرغم من النص النبوى الصريح على ذلك ، حتى خرج الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو مريض – فخطب الناس وقال :

* ❊ (هامش) ❊

)اشتهر النهى عن المتعة عن عمر وعثمان ومعاوية.

(١٢٦)راجع تفاصيل اوفى / النص والاجتهاد / العلامة عبد الحسين شرف الدين / ص ١٦٩ / ٢٤٣.

(١٢٧)راجع صحيح البخارى / كتاب العلم / ج ١ / ص ٣٧ ، طبعة دار الفكر – بيروت / ١٩٨١
وراجع : الطبقات الكبرى / لابن سعد / ج ٢ / ص ٢٤٢

)يا أيها الناس من مقالة بغلتنى عن بعضكم فى تأمير اسامة ، ولئن طعنتم فى تأميرى اسامة لقد طعنتهم فى تأمير أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقا بالامارة ، وإن ابنه من لخليق بها. (١٢٨) (

وهذان الاتجاهان اللذان بدا الصراع بينهما فى حياة النبى (صلى الله عليه وآله) ، قد انعكسا على موقف المسلمين من إطروحة زعامة الامام للدعوة بعد النبى (صلى الله عليه وآله.)

فالممثلون للاتجاه التعبدى وجدوا فى النص النبوى على هذه الاطروحة سببا بقبولها ، دون توقف أو تعديل.

وأما الاتجاه الاجتهادى فقد رأى أنه بامكانه أن يتحرر من الصيغة المطروحة من قبل النبى (صلى الله عليه وآله) ، إذا ادى اجتهاده الى صيغة اخرى أكثر انسجاما – فى تصوره – مع الظروف.

وهكذا ترى أن الشيعة ولدوا منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) مباشرة متمثلين فى المسلمين الذين خضعوا عمليا لاطروحة زعامة الامام وقيادته التى فرض النبى الابتداء بتنفيذها من حين وفاته مباشرة ، وقد تجسد الاتجاه الشيعى ، منذ

اللحظة الاولى فى إنكار ما اتجهت إليه السقيفة من تجميد لاطروحة زعامة الامام على ، واسناد السلطة الى غيره.

ذكر الطبرسى فى الاحتجاج عن أبان بن تغلب قال : (قلت

* ❊ (هامش) ❊
(١٢٨)راجع الطبقات الكبرى / لابن سعد / ج ٢ / ص ٢٤٨ ،
وراجع أيضا الكامل فى التاريخ / لابن الاثير / ج ٢ / ص ٣١٨ / ٣١٩

لجعفر بن محمد الصادق : جعلت فداك ، هل كان أحد فى أصحاب رسول الله أنكر على أبى بكر فعله ؟ قال : نعم كان الذى أنكر عليه اثنا عشر رجلا ، فمن المهاجرين : خالد بن سعيد : ابن أبى العاص ، وسلمان الفارسى ، وأبور ذر الغفارى ،

والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر ، وبريدة الاسلمى ، ومن الانصار : أبو الهيثم بن التيهان ، وعثمان ابن حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وأبى بن كعب ، وأبو أيوب الانصارى. (١٢٩) (

وقد تقول : إذا كان الاتجاه الشيعى يمثل التعبد بالنص ، والاتجاه الاخر المقابل له يمثل الاجتهاد ، فهذا يعنى أن الشيعة

يرفضون الاجتهاد ولا يسمحون لانفسهم به ، مع انا نجد أن الشيعة يمارسون عملية الاجتهاد فى الشريعة دائما !

والجواب : إن الاجتهاد الذى يمارسه الشيعة ويرونه جائزا بل واجبا ، وجوبا كفائيا ، هو الاجتهاد فى استنباط الحكم الشرعى من النص الشرعى ، لا الاجتهاد فى النص الشرعى لرأى يراه المجتهد أو لمصلحة يخمنها (١٣٠)، فإن هذا غير جائز ، والاتجاه الشيعى يرفض أى

* ❊ (هامش) ❊

(١٢٩)الاحتجاج / الطبرسى / ج ١ / ص ٧٥ نشر مؤسسة الاعلمى - بيروت / ١٩٨٣ (الشهيد)

وراجع : تاريخ اليعقوبى / ج ٢ / ص ١٠٣.

(١٣٠)راجع : المعالم الجديدة للاصول / الشهيد الصدر (رض) ص ٢٣ وما بعدها ففيه تفصيل واف لتطور دلالة الاجتهاد وأنه كان مما يتحرج منه إذ كان يراه به (المبدأ الفقهى الذى

ممارسة للاجتهاد بهذا المعين ، ونحن حينما نتحدث عن قيام اتجاهين منذ صدر الاسلام :

أحدهما : اتجاه التعبد بالنص ، والاخر : اتجاه الاجتهاد ونعنى بالاجتهاد هنا ، الاجتهاد فى رفض النص أو قبوله.

وقيام هذين الاتجاهين شئ طبيعى فى ظل كل رسالة تغييرية شاملة تحاول تغيير الواقع الفاسد من الجذور فانها تتخذ درجات مختلفة من التأثير حسب حجم الرواسب المسبقة ومدى انصهار الفرد بقيم الرسالة الجديدة ودرجة ولائه لها.

وهكذا نعرف أن الاتجاه الذى يمثل التعبد بالنص يمثل الدرجة العليا من الانصهار بالرسالة والتسليم الكامل لها ، وهو لا يرفض الاجتهاد ضمن إطار النص ، وبذل الجهد فى استخراج الحكم الشرعى منه(١٣١) ومن المهم أن نشير - فى هذا الصدد أيضا - الى أن التعبد

* ❊ (هامش) ❊

يتخذ من التفكير الشخصى مصدرا من مصادر الحكم وقد دخلت الحملة ضد هذا المبدأ الفقهى دور التصنيف فى عصر الائمة ايضا والرواد الذين حملوا آثارها(. . .

فالاجتهاد هنا إذا اعتبر دليلا من ادلة الفقيه ومصدرا من مصادر يستدل به إذا لم يتوفر عنده النص ، هذا النوع من الاجتهاد ، وهو ما نادت به مدارس كثيرة فى الفقه السنى كمدرسة ابى حنيفة ، مرفوض

وقد قال الطوسى : (اما القياس والاجتهاد عندنا فليسا بدليلين بل محظور فى الشريعة استعمالهما ولكن عندما تطور مفهوم الاجتهاد وصار يعنى عملية استنباط الحكم من النص اى صار يرادف عملية الاستنباط اصبح مقبولا ومعمولا به وراجع أقسام الاجتهاد وأنواعه ، ونطاقة : الاصول العامة للفقة المقارن / العلامة محمد تقى الحكيم / ص ٥٦١ وما بعدها.

(١٣١)راجع : : الاصول العامة للفقة المقارن / محمد تقى الحكيم / ص ٥٦٣

بالنص لا يعنى الجمود والتصلب الذى يتعارض مع متطلبات التطور وعوامل التجديد المختلفة فى حياة الانسان ، فإن التعبد بالنص معناه – كما عرفنا – التعبد بالدين ، والاخذ به كاملا ، دون تبعيض ، وهذا الدين نفسه يحمل فى أحشائه كل عناصر

المرونة والقدرة على مسايرة الزمن واستيعابه ، بكل ما يحمل من ألوان التجديد والتطور ، فالتعبد به وبنصه تعبد بكل تلك العناصر ، وبكل ما فيها من قدرة على الخلق والابداع والتجديد(١٣٢) .

هذه خطوط عامة فى تفسير التشيع ، بوصفه ظاهرة طبيعية فى إطار الدعوة الاسلامية ، وتفسير ظهور الشيعة كاستجابة لتلك الظاهرد الطبيعية .

* ❊ (هامش) ❊

(١٣٢)راجع : المعالم الجديدة للاصول / ص ٤٠

المبحث الثانى : المرجعية الفكرية والمرجعية القيادية

إن إمامة أهل البيت والامام على التى تمثلها تلك الظاهرة الطبيعية تعبر عن مرجعيتين.

إحداهما المرجعية الفكرية والاخرى المرجعية فى العمل القيادى والاجتماعى ، وكلتا المرجعتين كانتا تتمثلان فى شخص النبى (صلى الله عليه وآله) ، وكان لابد فى ضوء ما درسنا من ظروف أن يصمم الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله(

الامتداد الصالح له لتحمل كلتا المرجعيتين ، لكى تقوم المرجعية الفكرية يملء الفراغات التى قد تواجهها ذهنية المسلمين ، وتقديم المفهوم المناسب ، ووجهة النظر الاسلامية فيما يستجد من قضايا الفكر والحياة وتفسير ما يشكل ويغمض من معطيات الكتاب الكريم (١٣٣) الذى يشكل المصدر

* ❊ (هامش) ❊

(١٣٣)راجع ما أثبتناه فى الملحق آخر الكتاب حول هذه المسالة : مدى قدرة الامام على (ع

الاول للمرجعية الفكرية فى الاسلام ولكى تقوم المرجعية القيادية الاجتماعية بمواصلة المسيرة ، وقيادة المسيرة الاسلامية فى خطها الاجتماعى.

وقد جمعت كلتا المرجعيتين لأهل البيت (عليهم السلام) ، بحكم الظروف التى درسناها ، وجاءت النصوص النبوية الشريفة تؤكد ذلك باستمرار والمثال الرئيسى للنص النبوى على المرجعية الفكرية حديث الثقلين إذ قال رسول الله (صلى الله عليه

وآله : (إنى أو شك أن ادعى فاجيب وانى تارك فيكم الثقلين كتاب الله ، حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتى أهل بيتى ، وأن اللطيف الخبير أخبرنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظرو كيف تخلفونى فيهما(١٣٤) . . .

والمثال الرئيسى للنص النبوى على المرجعية فى العمل القيادى الاجتماعى حديث الغدير حيث أخرج الطبرانى بسند مجمع على صحته عن زيد بن ارقم قال : خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بغدير تحت شجرات فقال :

* ❊ (هامش) ❊

واستيعابه لكتاب الله تعالى واحاطته بخاصه وعامه ، وبناسخه ومنسوخه وباحكامه وشرائعه وبظاهره وباطنه

وراجع مثلا : الاتقان / السيوطى / ج ۴ / ص ۲۳۴.

(١٣٤)المستدرک علی الصحیحین / الحاکم النیسابوری ج ٣ / ص ١١٩ قال : صحح علی شرط الشیخین (الشهید)
وقد أخرجه مسلم فی صحیحه / ج ٤ / ص ١٨٧٤ (الشهید)
وراجع : صحیح الترمذی / ج ١ / ص ١٣٠ (الشهید .)
السنن الکبری / النسائی / ج ٥ / ص ٦٢٢ (الشهید .)
مسند الامام أحمد بن حنبل / ج ٤ / ص ٢١٧ ، ج ٣ / ص ١٤ / ص ١٧ (الشهید)
وراجع أیضا : سنن الدارمی / ج ٢ / ص ٤٣٢ باب فضائل القرآن دار إحیاء السنة النبویة

أیها الناس یوشک أن ادعی فاجیب وانی مسؤول وأنکم مسوولون فماذ أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنک قد بلغت وجاهدت ، ونصحت فجزاک الله خیرا ، فقال : الیس تشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإن جنته حق ، وأن ناره حق

وأن الموت حق ، وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آیتة لا ریب فیها ، وأن الله یبعث من فی القبور ؟ فقالوا : بلی نشهد بذلک قال : اللهم اشهد . ثم قال : یا ایها الناس ، إن الله مولای وانا مولی المؤمنین وانا اولی بهم من انفسهم ، فمن کنت مولاه ، فهذا مولاه یعنی علیا – اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه. (١٣٥)

وهکذا جسد هذان النصان النبویان الشریفان ، فی عدد کبیر من أمثالهما ، کلتا المرجعیتین فی أهل البیت (علیهم السلام) وقد اخذ الاتجاه الاسلامی القائم علی التعبد بنصوص النبی (صلی الله علیه وآله) بکلا النصین وآمن بکلتا المرجعیتین وهو اتجاه المسلمین

* ❊ (هامش) ❊

(١٣٥)قال الشهید الصدر فی الهامش : وحدیث الغدیر مستفیض فی کتب الحدیث عند الشیعة والسنة معا ، وقد أحصی بعض المحققین عدد رواة الحدیث من الصحابة فکانوا اکثر من مائة وعددهم من التابعین فکانوا اکثر من ثمانین تابعیا وعددهم من الحفاظ فی القرن الثانی

الهجری فکانوا قرابة ستین شخصا من حفاظ الحدیث ورجالاته لاحظ کتاب الغدیر للعلامة الامینی (الشهید) اورد العلامة الامینی فی کتابه الغدیر عدة احادیث عن زید بن ارقم وبالفاظ مختلفة ویبدو ان السید الشهید قد جمع بین تلک المرویات واخرجها بهذا الشکل

راجع الغدير / ج ١ / ص ٣١ – ٣٦ وراجع تخريج الحديث فى الملحق تذكر منها : سنن ابن ماجة / ج ١ / المقدمة – الباب ١١ .
ومسند الامام احمد بن حنبل / ج ٤ / ص ٢٨١ ص ٣٦٨ طبعة دار صادر

المواطين لأهل البيت . ولئن كانت المرجعية القيادية الاجتماعية لكل إمام تعنى ممارسته للسلطة خلال حياته ، فإن المرجعية الفكرية حقيقة ثابتة مطلقة لا تتقيد بزمان حياة الامام.

ومن هنا كان لها مدلولها العملى الحى فى كل وقت ، فما دام المسلمون بحاجة الى فهم محدد للاسلام وتعرف على احكامه وحلاله وحرامه ومفاهيمه وقيمه ، فهم بحاجة الى المرجعية الفكرية المحددة ربانيا المتمثلة

اولا : فى كتاب الله تعالى وثانيا : فى سنة رسوله (صلى الله عليه وآله) والعترة المعصومة من أهل البيت التى لا تفترق ولن تفترق عن الكتاب كما نص الرسول (١٣٦) الاعظم (صلى الله عليه وآله. (

وأما الاتجاه الاخر فى المسلمين الذى قام على الاجتهاد بدلا عن التعبد بالنص فقد قرر فى البدء عند وفاة الرسول الاعظم)صلى الله عليه وآله) تسليم المرجعية القيادية التى تمارس السلطلة الى رجالات من المهاجرين وفقا لاعتبارات متغيرة ومتحركة ومرنة.

وعلى هذا الاساس تسلم أبو بكر السلطلة بعد وفاة النبى مباشرة على أساس ما تم من تشاور محدود فى مجلس السقيفة) (١٣٧ثم تولى الخلافة عمر بنص محدد من ابى بكر (١٣٨) وخلفهما عثمان بنص غير محدد من عمر (١٣٩) ، وأدت المرونة بعد ثلث قرن من وفاة الرسول

* ❊ (هامش) ❊

(١٣٦)حديث الثقلين المشهور – مر تخريجه.

(١٣٧)راجع نصوص السقيفة / تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٢٣٤.

(١٣٨)راجع قصة استخلاف عمر / المصدر السابق.

(١٣٩)راجع قصة الستة الشورى فى استخلاف عثمان / تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٥٨٠ وراجع

القائد إلى تسلل أبناه الطلقاء (١٤٠) الذين حاربوا الاسلام بالامس الى مراكز السلطلة.

هذا فيما يتصل بالمرجعية القيادية التى تمارس السلطلة ، وأما بالنسبة الى المرجعية الفكرية فقد كان من الصعب إقرارها فى أهل البيت ، بعد أن ادى الاجتهاد الى انتزاع المرجعية القيادية منهم ، لان إقرارها كان يعنى خلق الظروف الموضوعية التى

تمكنهم من تسلم السلطة والجمع بين المرجعيتين كما أنه كان من الصعب أيضا من الناحية الاخرى ، الاعتراف بالمرجعية الفكرية لشخص الخليفة الذى يمارس السلطة فالاحساس المرجعية الفكرية تختلف عن متطلبات ممارسة السلطة فالاحساس

بجدارة الشخص لممارسة السلطة والتطبيق لا يعنى بحال الشعور بامكانية نصبه إماما فكريا ومرجعا أعلى بعد القرآن والسنة النبوية لفهم النظرية لان هذه الامامة الفكرية تتطلب درجة عالية من الثقافة ، والاحاطة واستيعاب النظرية وكان من الواضح إن هذا لم يكن متوفرا فى اى صحابى بمفرده (١٤١) إذا قطع

* ❊ (هامش) ❊

الخطبة الشقشقية للامام على – الخطبة رقم ٣ نهج البلاغه ضبط الدكتور صبحى الصالح / ص ٤٨ وراجع شرحها لابن ابى الحديد / ج ١ / ص ١٥١ وما بعدها / تحقيق أبو الفضل ابراهيم وراجع السقيفة والخلافة / عبد الفتاح عبد المقصود / ص ٢٦٤.

(١٤٠)الطلقاء : وصف يطلق على من اسلم زمن الفتح فى مكة ومنهم أبو سفيان وابنه معاوية ، راجع : تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ١٦١ . علما بانهما كانا من المؤلفة قلوبهم / راجع تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ١٧٥.

(١٤١)لاحظ احتياجهم الى مرجعية الامام على عليه السلام فى موارد كثيرة وما صدر عنهم من عبارات تصرح بذلك . راجع تاريخ الخلفاء / السيوطى / ص ١٧١ هذا مع عدم رجوع

النظر عن أهل البيت (عليهم السلام. (

ولهذا ظل ميزان المرجعية الفكرية يتأرجح فترة من الزمن ، وظل الخلفاء فى كثير من الحالات ، يتعاملون مع الامام على على أساس إمامته الفكرية ، أو على اساس قريب من ذلك حتى قال الخليفة الثانى مرات عديدة) : لولا على لهلك عمر ،

ولا أبقانى الله لمعضلة ليس لها أبو حسن (١٢٤) (ولكن بمرور الزمن ، بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله) ، وتعود المسلمين تدريجيا على النظر الى اهل البيت ، والامام على بوصفهم أشخاصا اعتياديين ومحكومين أمكن الاستغناء عن

مرجعيتهم الفكرية أساسا ، وإسنادها الى بديل معقول ، وهذا البديل ليس هو شخص الخليفة بل الصحابة ، وهكذا وضع بالتدريج مبدأ مرجعية الصحابة ، ككل ، بدلا عن مرجعية أهل البيت ، وهو بديل يستسيغه النظر بعد تجاوز المرجعية

المنصوصة لان هؤلاء هم الجيل الذى رافق النبى (صلى الله عليه وآله) وعاش حياته وتجربته ، ووعى حديثه وسنته ١٤٣)) .

* ❊ (هامش) ❊

الامام على (عليه السلام) الى اى واحد منهم فى امور الشريعة واحكامها.

(١٤٢)الطبقات الكبرى / ج ٢ / ص ٣٣٩.

(١٤٣)لاحظ اولا تقييم الشهيد الصدر للجيل الاول من الصحابة وهو تقييم ينم عن مدى الموضوعية التى تمسك بها الشهيد الصدر (رضوان الله عليه) فى تناوله لتاريخ المسلمين ، ولدور الرعيل الاول.

وثانيا : إن جعل الصحابة بديلا عن أهل البيت ، لم يحظ بالقبول من كثير من أجلاء الصحابة كسلمان وعمار وأبى ذر والمقداد وغيرهم بل بقى هؤلاء على ولاتهم لاهل البيت ،

وثالثا : إنه وإن أصبحت سيرة الصحابة أو قول الصحابى امرا واقعا إلا أنه لم يتم

وبهذا فقد أهل البيت عمليا امتيازهم الربانى ، وأصبحوا يشكلون جزءا من المرجعية الفكرية بوصفهم صحابة وبحكم ما قدر أن عاشه الصحابة أنفسهم من اختلافات حادة ، وتناقضات شديدة ، بلغت ، فى كثير من الاحيان الى مستوى القتال وهدر كل

فريق دم الفريق الاخر وكرامته ، وإتهامه بالانحراف والخيانة (١٤٤) وبحكم هذه الاختلافات والاتهامات بين صفوف الامامة الفكرية ، والمرجعية العقائدية نفسها ، نشأت ألوان من التناقض العقائدى والفكرى (١٤٥) فى جسم الامة الاسلامية

كانعكاسات لاوجه التناقضى فى داخل تلك الامامة الفكرية التى قررها الاجتهاد

* ❊ (هامش) ❊

التسليم بحجية اقوالهم وحسبک ان سيرة الشيخين عرضت على الامام على (عليه السلام) يوم الشورى فلم يقبل بها ، وراجع المناقشة العلمية الشافية فى الاصول العامة للفقه المقارن / العلامة محمد تقى الحكيم / ص ١٣٣ – ١٤٢.

(١٤٤)راجع اتهام الخليفة الثانى عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد بانه قتل رجلا مسلما

(١٤٥)راجع مناهج الاجتهاد / د . محمد سلام مدكور / حول نشوء الفرق والمذاهب الاسلامية الكلامية والفقهية والنزاعات الحاصلة بينهم . وراجع أيضا : الملل والنحل / الشهرستانى / ج ١ / ص ١٥ وما بعدها

التشيع الروحى والتشيع السياسى

ص: ٩١

المبحث الثالث : التشيع الروحى والتشيع السياسى

أود أن أشير هنا الى نقطة أعتبر توضيحها على درجة كبيرة من الاهمية ، وهى أن بعض الباحثين يحاول التمييز بين نحوين من التشيع ، أحدهما) التشيع الروحى) ، والاخر) التشيع السياسى) ويعتقد أن التشيع الروحى أقدم عهدا من التشيع

السياسى (١٤٦) ، وأن أئمة الشيعة الامامية – من أبناء الحسين (عليه السلام) قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسة ، وانصرفوا الى الارشاد والعبادة ، والانقطاع عن الدنيا.

والحقيقة أن) التشيع) لم يكن فى يوم من الايام منذ ولادته مجرد اتجاه روحى بحت ، وإنما ولد التشيع فى أحضان الاسلام

* ❊ (هامش) ❊

(١٤٦)راجع : الصلة بين التصوف والتشيع / الدكتور الشيبى / ج ١ / ص ١٢ .

وراجع أيضا : مقدمة فى تاريخ صدر الاسلام / الدكتور عبد العزيز الدورى / ص ٧٢

ص: ٩٢

بوصفه إطروحة مواصلة الامام على (عليه السلام) للقيادة بعد النبى فكريا واجتماعيا وسياسيا على السواء كما اوضحنا سابقا عند استعراض الظروف التى ادت الى ولادة التشيع ولم يكن بالامكان بحكم هذه الظروف التى استعرضناها – أن يفصل الجانب الروحى عن الجانب السياسى فى اطروحة التشيع تبعا لعدم انفصال احدهما عن الاخر فى الاسلام نفسه.

فالتشيع إذن لا يمكن أن يتجزأ إلا إذا فقد معناه كاطروحة لحماية مستقبل الدعوة بعد النبى (صلى الله عليه وآله) ، وهو مستقبل بحاجة الى المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة الاسلامية معا.

وقد كان هناك ولاء واسع النطاق للامام على (عليه السلام (فى صفوف المسلمين باعتباره الشخص الجدير بمواصلة دور الخلفاء الثلاثة فى الحكم وهذا الولاء هو الذى جاء به الى السلطة عقيب مقتل الخليفة عثمان (١٤٧) ولكن هذا الولاء ليس

تشيعا روحيا ولا سياسيا ، لان التشيع يؤمن بعلى كبديل عن الخلفاء الثلاثة وخليفة مباشر للرسول (صلى الله عليه وآله (فالولاء الواسع للامام فى صفوف المسلمين اوسع نطاقا من التشيع الحقيقى الكامل ، وإن نما التشيع الروحى والسياسى داخل إطار هذا الولاء فلا يمكن أن نعتبره مثالا على التشيع المجزأ . كما أن الامام على (عليه السلام) يتمتع بولاء

* ❊ (هامش) ❊

(١٤٧)راجع : تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٦٩٦ وما بعدها

وراجع أيضا وصف الحالة فى خطبة الامام على من قوله) : فما راعنى إلا والناس كعرف الضبع الى ينثالون على من كل جانب . . . مجتمعين حولى كربيضة الغنم (نهج البلاغه / ضبط الدكتور صبحى الصالح / ص ٤٨ – الشقشقية

ص: ٩٣

روحى وفكرى من عدد من كبار الصحابة فى عهد أبى بكر وعمر من قبيل سلمان وأبى ذر وعمار وغيرهم ، ولكن هذا لا يعنى أيضا تشيعا روحيا منفصلا عن الجانب السياسى بل إنه تعبير عن إيمان اولئک الصحابة بقيادة الامام على للدعوة بعد

وفاة النبى فكريا وسياسيا وقد انعكس إيمانهم بالجانب الفكرى من هذه القيادة بالولاء الروحى المتقدم وانعكس إيمانهم بالجانب السياسى منها بمعارضتهم لخلافة أبى بكر (١٤٨) وللاتجاه الذى ادى الى صرف السلطة عن الامام الى غيره.

ولم تنشأ فى الواقع النظرة التجزيئية الى التشيع الروحى بصورة منفصلة عن التشيع السياسى ولم تولد فى ذهن الانسان الشيعى ، إلا بعد أن استسلم الى الواقع ، وانطفات جذوة التشيع فى نفسه كصيغة محددة لمواصلة القيادة الاسلامية فى بناء

الامة ، وإنجاز عملية التغيير الكبيرة التى بداها الرسول الكبير ، وتحولت الى مجرد عقيدة يطوى الانسان عليها قلبه ، ويستمد منها سلوته وأمله.

وهنا نصل إلى ما يقال من أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) من أبناء الحسين (عليه السلام) اعتزلوا السياسية وانقطعوا عن الدنيا ، فتلاحظ أن التشيع بعد أن فهمناه كصيغة لمواصلة القيادة الاسلامية ، والقيادة الاسلامية لا تعنى إلا ممارسة عملية

التغيير التى بدأها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) بناء الامة على أساس الاسلام ، فليس من الممكن أن نتصور تنازل الائمة عن الجانب

* ❊ (هامش) ❊

(١٤٨)راجع ما نقله الطبرسى فى الاحتجاج / ج ١ / ص ٧٥

السياسى إلا إذا تنازلوا عن التشيع.

غير أن الذى ساعد على تصور اعتزال الائمة وتخليهم من الجانب السياسى من قيادتهم ، ما بدا من عدم إقدامهم على عمل مسلح ضد الوضع الحاكم مع إعطاء الجانب السياسى من القيادة معن ضيقا لا ينطبق إلا على عمل مسلح من هذا القبيل.

ولدينا نصوص عديدة عن الائمة (عليهم السلام) توضح أن إمام الوقت دائما كان مستعدا لخوض عمل مسلح إذا وجدت لديه القناعة بوجود الانصار والقدرة على تحقيق الاهداف الاسلامية من وراء ذلك العلم المسلح. (١٤٩)

ونحن إذا تتبعنا سير الحركة الشيعية ، نلاحظ أن القيادة الشيعية المتمثلة فى أئمة أهل البيت ، كانت تؤمن بأن تسلم السلطة وحده لا يكفى ، ولا يمكن من تحقيق عملية التغيير إسلاميا ، ما لم تكن هذه السلطة مدعمة بقواعد شعبية واعية تعى أهداف

تلك السلطة وتؤمن بنظريتها فى الحكم ، وتعمل فى سبيل حمايتها ، وتفسير مواقفها للجماهير ، وتصمد فى وجه الاعاصير : وفى نصف القرن الاولى بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله) كانت القيادة الشيعية بعد إقصائها عن الحكم ، تحاول باستمرار استعادة الحكم بالطرق التى تؤمن بها ، لانها كانت تؤمن بوجود قواعد

* ❊ (هامش) ❊

(١٤٩)راجع : اصول الكافى / ج ٢ / ص ١٩٠ – باب فى قلة عدد المؤمنين / الطبعة الاسلامية طهران / ١٣٨٨ ه *) .

)

ص: ٩٥

شعبيه واعية ، أو فى طريق التوعية من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ولكن بعد نصف قرن وبعد أن لم يبق من هذه القواعد الشعبية شيء مذكور ونشأت أجيال مائعة (١٥٠) فى ظل الانحراف ، لم يعد تسلم الحركة الشيعية للسلطة محققا

للهدف الكبير لعدم وجود القواعد الشعبية المساندة بوعى وتضحية وأمام هذا الواقع كان لابد من عملين:

أحدهما : العمل من أجل بناء هذه القواعد الشعبية الواعية التى تهئ ارضية صالحة لتسلم السلطة.

وثانيهما : تحريک ضمير الامة الاسلامية وإرادتها والاحتفاظ للضمير الاسلامى والارادة الاسلامية بدرجة من الحياة والصلابة تحصن الامة ضد التنازل المطلق عن شخصيتها وكرامتها للحكام المنحرفين.

والعمل الاول هو الذى مارسه الائمة (عليهم السلام) بانفسهم ، والعمل الثانى ، هو الذى مارسه ثائرون علويون كانوا يحاولون

* ❊ (هامش) ❊

(١٥٠)راجع ما احدثته السياسة الاموية فى اوساط الامة من نشر اللهو وإشاعة المجون وشرب الخمر ثم استخدام سياسية البطش والقمح ضد كل المناوئين.

راجع فى هذه القضية مروج الذهب / المعسودى / ج ٣ / ص ٢١٤ وما بعدها .
وراجع : العقد الفريد / ابن عبد ربه / ج ٥ / ص ٢٠٠ – ٢٠٢ .
وراجع : الاغانى / أبى الفرج الاصفهانى / ج ٧ / ص ٦ وما بعدها طبعة دار الفكر بيروت / ط ١ / ١٤٠٧ ه
وراجع : حول عبث الامويين فى الاموال : العدالة الاجتماعية فى الاسلام / سيد قطب

بتضحياتهم الباسلة أن يحافظوا على الضمير الاسلامى والارادة الاسلامية وكان الائمة (عليهم السلام) يسندون المخلصين منهم .

قال الامام على بن موسى الرضا للمأمون وهو يحدثه عن زيد ابن على الشهيد : (أنه كان من علماء آل محمد ، غضب لله تعالى فجاهد أعداءه ، حتى قتل فى سبيله ، ولقد حدثنى ابى موسى بن جعفر أنه سمع أباه جعفر بن محمد يقول : رحم الله

عمى زيدا ، إنه دعا الى الرضا من آل محمد ، ولو ظفر لو فى بما دعا إليه . . . إن زيد بن على لم يدع ما ليس له بحق ، وإنه كان أتقى لله من ذلک ، انه قال : ادعوكم الى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله. (١٥١) (

وفى رواية انه ذكر بين يدى الامام الصادق من خرج من آل محمد ، فقال : (لا أزال أنا وشيعتى بخير ما خرج الخارجى من آل محمد ، ولوددت أن الخارجى من آل محمد خرج وعلى نفقة عياله. (١٥٢) (

فترک الائمة إذن العمل المسلح بصورة مباشرة ضد الحكام المنحرفين لم يكن يعنى تخليهم عن الجانب السياسى من قيادتهم

* ❊ (هامش) ❊

(١٥١)وسائل الشيعة / للحر العاملى / تحقيق عبد الكريم الشيرازى / ج ١١ / ص ٣٩ / ط ٥ / المكتبة الاسلامية - طهران / ١٤٠١ ه (الشهيد) . وراجع الطبعة المحققة / موسسة آل البيت / قم ج ١٥ / ص ٥٤ كتاب الجهاد.

(١٥٢)السرائر / لابن ادريس / ج ٣ / ص ٥٦٩ الرواية عن أبى عبد الله السيارى عن رجل من الاصحاب / مؤسسة النشر الاسلامى / قم (الشهيد

وانصرفهم الى العبادة ، وإنما يعبر عن اختلاف صيغة العمل الاجتماعى التى تحددها الظروف الموضوعية ، وعن إدراک معمق لطبيعة العمل التغييرى وأسلوب تحقيقه.

تم بحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه تحقيق الكتاب والتعليق عليه
محرم الحرام / ١٤١٤ ه د . شرارة

لاعداد التربوى والفكرى لولاية على (عليه السلام) وخلافته

ص: ٩٩

ملحق البحث الاعداد التربوى والفكرى لولاية على (عليه السلام) وخلافته بقلم الدكتور عبد الجبار شراره

ص: ١٠١

المبحث الاول * الاعداد التربوى والفكرى لعلى (عليه السلام (
المبحث الثانى * إعداد الامة وتهيئتها لتولى على (عليه السلام) الخلافة
المبحث الثالث * مدخلية اختصاص على (عليه السلام) بالمعرفة القرآنية فى إعداده للخلافة

ص: ١٠٣

تمهيد إن عملية الاعداد الفكرى والتربوى (الرسالى) لولاية على بن أبى طالب وخلافته ، التى قام بها الرسول الاعظم)صلى الله عليه وآله) كانت تسير فى خطين متوازيين ومتكاملين ، وهما إعداد على (عليه السلام) وإعداد الامة فى آن واحد.

فبينما نجد الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) يتعهد عليا برعاية خاصة ، تربية وتثقيفا ، فكريا وعقائديا ، وفق برنامج دقيق ويومى متواصل ، نجده صلوات الله عليه يتولى تهيئة ذهنية الامة المسلمة ، وتربيتها فكريا وعقائديا أيضا لترسيخ ولاية على ، وتأكيد أهليته لقيادة المسيرة الاسلامية والتجربة الاسلامية بعده مباشرة.

وقد كان تدخل الوحى المباشر فى كثير من الموارد والمناسبات – كما سيأتى – يصب هو الاخر فى هذا الاتجاه . لقد كان قرآن ينزل دائما يحمل الاشادة بفضل على تارة ، ويدل على خصائصه تارة ، وبشخصه دون غيره إلى أن يصل الامر إلى تعليق إكمال تبليغ الرسالة على الاعلان عن ولايته ، والتصريح بها

ص: ١٠٤

للامة – كما سيأتى البيان – . هذا ما سنحاول استيضاحه وتوثيقه فى هذه الدراسة التى نلحقها بهذا البحث العميق والاصيل للشهيد الصدر (رضوان الله تعالى عليه. (

وسنوزع هذه الدراسة على ثلاثة مباحث :
نعرض فى المبحث الاول : عملية الاعداد الفكرى والتربوى لعلى (ع) من أجل تولى مهمة القيادة بعد النبى (ص . (
ونعرض فى المبحث الثانى عملية الاعداد الفكرى والتربوى للامة المسلمة من اجل تلك المهمة نفسها .
ونعرض فى المبحث الثالث ، مدخلية إفراد على بعلم القرآن خاصة بتلك المهمة نفسها.

وسنحاول فى هذه الدراسة الموجزة تسليط الاضواء على تلك الحقائق معتمدين اصول البحث العلمى وقواعده ، بعيدا عن المبالغات والتمحلات ، مستندين إلى المصادر الحديثية والتفسيرية من مصنفات العلماء والمحدثين والباحثين الفضلاء وخاصة من أهل السنة . نستمد العون من الله تعالى وهو حسبنا ونعم والوكيل .

الاعداد الفكرى والتربوى لعلى (عليه السلام(

ص: ١٠٥

المبحث الاول : الاعداد الفكرى والتربوى لعلى (عليه السلام(

نستطيع القول بكل تأكيد أن الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) ، قد قام بعملية الاعداد الرسالى (التربوى والفكرى) لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) منذ صدع بالوحى ، وكان صلوات الله عليه يضع الخطوات العملية من أجل بلوغ الغاية المتوخاة من ذلك ، وهى تولى على للمهمة القيادة (الاجتماعية والسياسية) بعده مباشرة.

ويظهر لنا من سير الاحداث ، وما تناقلته كتب السيرة والتواريخ ، وما نقله الرواة الثقاة ، أن ذلك تم عن طريقين:

الاول : تعهد الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) نفسه بكفالة على (عليه السلام) منذ صغره ، وتولى تربيته ورعايته ، والحرص البالغ على أن لا يفارقه إلا لضرورة.

والثانى : إفراد على (عليه السلام) من بين سائر الصحابة

ص: ١٠٦

بمقامات وعلوم ومواقف ترتبط بوجود الاسلام وبمستقبله.

فاما اولا : فإن كتب السيرة والرواية قد تكفلت ببيان تفصيلات وافية فى هذا الصدد ، حتى أن أمر تعهد الرسول الاعظم)صلى الله عليه وآله) لعلى بكفالته منذ صغره ، وتربيته فى بيته من أوضح ما تؤخر به سيرته الشريفة (١) ، ويكفى أن

نورد ما بينه الامام على (عليه السلام) نفسه فى خطبته الشهيرة بالقاصعة إذ يقول) : وقد علمتم موضعى من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة ، والمنزلة الخصيصة ، وضعنى فى حجره وأنا ولد ، يضمنى إلى صدره ، ويكنفنى

فى فراشه ، ويمسنى جسده ، ويشمنى عرفه . وكان يمضغ الشئ ثم يلقمنيه ، وما وجد لى كذبة فى قول ، ولا خطلة فى فعل . . ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر امه ، يرفع لى فى كل يوم ن أخلافه علما ، ويأمرنى بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيرى. (

ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ، أرى نور الوحى والرسالة وأشم ريح النبوة. (٢) (. . .

إن هذه الصورة التى ينقلها لنا الامام على (عليه السلام) نفسه عن كيفية وطريقة التعامل التى كان يتبعها النبى معه ، تكشف لنا عن حقيقة وأبعاد الهدف الاعظم من ذلك .

* ❊ (هامش) ❊

(١)السيرة النبوية / ابن هشام / ج ١ / ص ٢٤٦ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون .

(٢)نهج البلاغة / ضبط الدكتور صبحى الصالح / خطبة ١٩٢ / ص ٣٠٠ / ٣٠١

إن هذه التربية المخصوصة لعلى (عليه السلام) ، والرعاية القائقة ، والحرص على أن يكون على قريبا جدا من أنوار الوحى ، وأن يكون متعرضا لنفحات النبوة ، وأن يكون ثالث ثلاثة فى بيت الرسول القائد حيث مهبط الوحى ، فيتلقى فى هذا

المكان المشرف الدروس الاولى والتوجيهات النبوية المباشرة فينعكس ذلك على تكوينه الفكرى والعقيدى (فلا يسجد لصنم قط (٣) (ولا يخالط عقله لحظة شرك ، وينعكس على سلوكه (فلا كذبة فى قوله ، ولا خطلة فى فعل . ان هذا ليكشف عن إعداد تربوى خاص بلا أدنى شك.

ومما يلاحظ فى هذا الصدد أن تعهد الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) لعلى بالرعاية والعناية الخاصتين لم يقتصر على فترة الطفولة والصبا ، ولم يتوقف عند مرحلة معينة لاننا نجد أن الرسول القائد كان حريصا على أن يكون على إلى جانبه

دائما لا يفارقه ليلا ولانهار ، كما ورد عن على (عليه السلام) قال : (كان لى مع النبى (صلى الله عليه وآله) مدخلان ، مدخل بالليل ، ومدخل بالنهار (٤) . . بل نجد الرسول القائد لا يفارق عليا ولا يتركه إلا لضرورة تتصل تحفظ حياة الرسول نفسه أو بحفظ الدعوة الاسلامية وحمايتها من أخطار محتملة .

* ❊ (هامش) ❊

(٣)مناقب أمير المومنين / ج ٢ / ص ٥٤٠ / حديث رقم ١٠٤٥ عن ابى سعيد الخدرى
وراجع الروض الانف / السهيلى / ج ٣ / ص ١٦ أول ن صلى على / الهامش (١) قال : واليه ذهب سلمان وخباب وجابر وابو سعيد كذا فى الطبرانى.

(٤)السنن الكبرى / الخصائص / النسائى / ج ٥ / ص ١٤١ ح ٨٥٠٢.

ونذكر على كل حالة مثالا واحدا لتاكيد المطلب.

أ – المورد الاول الذى يتصل بحفظ حياد الرسول القائد نفسه ، وهو عندما ترك رسول الله عليا ليبيت فى فراشه ليلة هجرته (٥) المباركة إلى المدينة ، إيهاما لقريش المترصدين ، وإنجاء لنفسه صلوات الله عليه وآله وسلم من مؤامرتهم لقتله . (٦) وقد نزل فى ذلك قوله تعالى) : ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله (٧) (. . كما ذكره الفخر الرازى. (٨)

ب – المورد الاخر الذى يتصل بحفظ الرسالة وحمايتها ، وهو عندما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يخرج إلى بعض مغازيه قيل تبوك – ترك عليا فى المدينة خليفة (٩) عنه ، لان ابن أبى بن سلول رأس المنافقين كان قد تخلف فى

المدينة فاقتضى الموقف أن يترك على لمواجهة أى تطور غير محسوب قد يهدد دولة الرسول القائد فى المدينة ، ذكر الطبرى) :أنه لما سار رسول الله – إلى – تبوك – تخلف عنه عبد الله بن ابى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب – وكان عبد الله بن ابى إخا بنى عوف بن الخزج – وعبد الله بن نبتل أخا بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بنى قينقاع ،

* ❊ (هامش) ❊

(٥)سيرة ابن هشام / ص ٩٥ . مطبعة الحجازى / القاهرة / ١٩٣٧ .

(٦)المصدر السابق .

(٧)البقر . ٢٠٧ /

(٨)التفسير الكبير / ج ٥ / ص ٢٠٤ – نشر دار الكتب العلمية – طهان – ط ٣ .

(٩)صحيح الترمذى / ج ٥ / ص ٥٩٦ – مطبعة دار الفكر – تحقيق كمال الحوت

كانوا – أى المذكورن – من عظماء المنافقين ، وكانوا ممن يكيد الاسلامى وأهله.

قال الطبرى : وفيه – فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن اسحاق ، عن عمرو بن عبيد عن الحسين البصرى – أنزل الله تعالى) : لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لک الامور . . . (١٠) (. . . وهنا أدرک المنافقون أن بقاء على فى

المدينة سيفوت الفرصة عليهم ، قال الطبرى فى تتمة الخبر) : فارجف المنافقون بعلى بن ابى طالب ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقالا له وتخففا منه . فلما قال ذلک المنافقون ، أخذ على سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله وهو بالجرف – موضع على

مسافة من المدينة – فقال : يا نبى الله ، زعم المنافقون انک إنما خلفتک انک استثقلتنى وتخففت منى فقال : كذبوا ، ولكنى إنما خلفتک لما ورائى . . . أفلا ترضى أن يكون منى – يا على – بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى ! فرجع على إلى المدينة ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على سفره. (١١) (

وقد نقل البخارى (١٢) ومسلم (١٣) حديث المنزلة هذا ، وفى الرواية عن سعد بن أبى وقاص : قال خلف رسول الله عليا – فى بعض

* ❊ (هامش) ❊

(١٠)التوبة . ٤٨ /

(١١)تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ١٨٢ / ١٨٣ البداية والنهاية / ابن كثير / ج ٧ / ص ٣٤٠ وما بعدها .

(١٢)راجع التاج الجامع للاصول / الشيخ ناصف / ج ٣ / ص ٣٣٢ قال : رواه الشيخان والترمذى .

(١٣)صحيح مسلم / ج ٤ / ص ١٨٧٣

مغازيه – فى المدينة ، فقال على : يا رسول الله قد خلفتنى مع النساء والصبيان فسمعت رسول الله يقول : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبوة بعدى(١٤) (. . .

ومن الامور الملفتة للنظر أن الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) كان يعبر عن تلهفه وهو احسه عندما يغيب عنه على (عليه السلام) ، ويتطلع إلى رؤيته والاطمئنان عليه ، فعن أم عطية على ما اخرجه ابن كثير (١٥) وحسنة ، قالت : بعث النبى (صلى الله عليه وآله) يقول) : اللهم لا تمتنى حتى ترينى عليا. (١٦) (

ويصل الامر أحيانا إلى أن النبى (صلى الله عليه وآله) عندما يخص باكلة لا يطيق أن ياكلها لوحده ، ثم هو لا يكتفى بان يدعو الله إلى أن يشاركه على بتلك الاكلة ، بل يجعلها مناسبة لبيان مقام على (عليه السلام) ومنزلته ،

فعن أنس بن مالك قال : (كان عند النبى طير – وفى بعض الروايات طائر مشوى (١٧) – فقال (صلى الله عليه وآله : ( )اللهم ائتنى بأحب خلقك إليک يأكل معى هذا الطير ، فجاء على فاكل معه. (١٨) (. . .

ومن الملفت للنظر أن بعض الروايات تنقل أن

* ❊ (هامش) ❊

(١٤)صحيح الترمذى / ٥ / ص ٥٩٦ .

(١٥)البداية والنهاية / ابن كثير / ج ٧ / ص ٣٥٧ .

(١٦)التاج الجامع للاصول فى احاديث الرسول / الشيخ منصور على ناصف / ج ٣ / ص ٣٣٤ دار احياء الكتب العربية – طبعة باموتى استانبول ط ٣ / ١٩٦١ .

(١٧)البداية والنهاية / ج ٧ / ص ٣٥١ .

(١٨)التاج الجامع للاصول / السابق / ج ٣ / ص ٣٣٦

محاولة جرت لصرف على عند مجيئه إلى بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد دعوته تلک ، ولكنها فشلت بتدخل الرسول نفسه على ما نقله ابن كثير. (١٩)

ويستفاد من هذه الرواية – كما هو ظاهر – أن النبى (صلى الله عليه وآله) أراد أن يرسخ ويؤكد أن عليا هو أحب الخلق الى الله تعالى أيضا. (٢٠)

كل ذلك يدل بما لا يدع مجالا للشك على أن التربية التى خص بها نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) عليا ، كانت تهدف الى إعداه وتهيئته لمسؤولية قيادة الدعوة ، وليس لمجرد أن يكون أحد أركانها وكوادرها الاساسية.

إذ وجدنا الرسول القائد يتعهد جمعا من صحابته بالتربية والتثقيف والرعاية ، ولكن ليس بمثل المستوى والطريقة والاسلوب والعناية التى اتبعت مع على مما يكشف أن المسؤولية المنوطة بعلى هى أكبر بكثر من مسؤولية الاخرين.

أما الاسلوب الثانى : وهو افراد على واختصاصه بالعلوم ، وخاصة القرآنية ، وبالمواقف الحاسمة فى تاريخ الرسول والرسالة ، وتثقيفه تثقيفا مركزا باحكام الشريعة ، فإن هناك شواهد كثيرة وادلة وفيرة عليه ، ومن يراجع كتب الحديث والسيرة والتواريخ) (٢١يظفر بالكثير جدا .

* ❊ (هامش) ❊

(١٩)البداية والنهاية / ص ٣٥١ / ٣٥٢ .

(٢٠)غاية المأمول شرح التاج للاصول / ج ٣ / ص ٣٣٦ ، الهامش (٦) قال عن الحديث) وفيه أن عليا رضى الله عنه أحب الخلق إلى الله تعالى . (

(٢١)راجع مختصر تاريخ ابن عساكر / لابن منظور / ج ١٧ / ص ٣٥٦ وما بعدها ج ١٨ الى ص ٥١.

ونذكر أمثله وشواهد عليه تثبيتا للمطلب : لقد تولى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنفسه ، وبأمر إلهى مهمة الاعداد الفكرى والعلمى لعلى ، وتزويده دون سواه بالمعرفة القرآنية الشاملة ، وبأصول العلوم ينابيعها وبالحكمة وآدابها ، وبتفهيم

أحكام الشريعة حلالها وحرامها . جاء عن على (عليه السلام) قوله) : علمنى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب من العلم ، يفتح لى من كل باب ألف باب. (٢٢) . .

وكان على (عليه السلام) تارة يبادر هو بالحصول على المعارف والعلوم والاحكام من الرسول الاعظم ، وتارة يبادر الرسول (

صلى الله عليه وآله) نفسه بذلک ، قال على (عليه السلام) : (كنت إذا سألت النبى (صلى الله عليه وآله) أعطانى ، وإذا سكت ابتدانى. (٢٣) . . .

ثم قال مرة) إن الله وهب لى لسانا سؤولا وقلبا عقولا(٢٤) (. .

وفى حديث طويل تحدث الامام على (عليه السلام) فى هذا الصدد قائلا) : ما نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) آية إلا أقرانيها وأملاها على فكتبتها بخطى وعلمنى تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها ودعا الله لى إن يعطينى فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله تعالى ، وعلما املاه على وكتبته

* ❊ (هامش) ❊

(٢٢)الارشاد / الشيخ المفيد / رواية عن عبد الله بن مسعود / ص ٢٢ .

(٢٣)التاج الجامع للاصول / ج ٣ / ص ٣٣٥ تاريخ الخلفاء / السيوطى / ص ١٧٠ الصواعق المحرقة / ابن حجر / ص ١٢٦ / ١٢٧ .

(٢٤)الاتقان / السيوطى / ج ٤ / ص ٢٣٤

منذ دعا الله لى بما دعا ، وما ترک رسول الله علما علمه الله من حلال ولا حرام ، ولا أمر ولانهى كان أو يكون . . . إلا علمنيه وحفظته ، ولم أنس حرفا واحدا منه. (٢٥) . . .

وقد أورد السيوطى أن معمر روى عن وهب عن أبى الطفيل قال : شهدت عليا يخطب وهو يقول : سلونى فو الله لا تسألونى عن شئ إلا أحدثكم به ، وسلونى عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت ام فى نهار أم فى سهل أم فى جبل . (٢٦) (. . .

قال السيوطى : (إن احدا من الصحابة لم يجرو على أن يقول سلونى غير على. (٢٧) (. . .

وكل ما تحدث به على ، ونقله لنا التاريخ نقلا أمينا ، شهد به أجلاء الصحابة وأقر به علماؤهم وكبارهم ، فقد أخرج أبو نعيم فى

الحلية عن ابن مسعود أنه قال : (إن القرآن انزل على سبعة أحرف ، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، وإن على بن ابى طالب عنده من الظاهر والباطن(٢٨) (. . .

وجاء عن ابن عباس أنه قال) : والله لقد

* ❊ (هامش) ❊

(٢٥)نهج البلاغة / خطبة ٢١٠ ص ٣٢٥ ضبط الدكتور صبحى الصالح ١١٠

راجع أيضا بحار الانوار / المجلسى / ج ٩٢ / ص ٩٩ طبعة طهران .

(٢٦)الاتقان / ج ٤ / ص ٢٣٣ وراجع طبقات ابن سعد / ج ٢ / ص ٣٣٨ – الصعواعق المحرقة ابن حجر / ص ١٢٧ .

(٢٧)تاريخ الخلفاء / ص ١٦٦ .

(٢٨)نقله فى الاتقان / السيوطى / ج ٤ / ص ٢٣٣

أعطى على بن أبى طالب تسعة أعشار العلم (٢٩) (، وورد عنه أيضا قوله : (كنا نتحدث أن النبى (صلى الله عليه وآله) عهد الى على سبعين عهدعا ، لم يعهد الى غيره. (٣٠))

وعمليا كان على مرجع الصحابة فى كل ما يعرضهم من المسائل العلمية والمشاكل الادارية ، والمعضلات القضائية . فلقد ثبت عن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب أنه قال) : لولا على لهلك عمر(٣١) (

وأنه كان يقول) : أعوذ بالله من معضلة ، ولا أبو حسن لها (٣٢) (. . . ،

وثبت عنه أنه قال) : أقضانا على . (٣٣) (. . . والقضاء يعنى العلم بكل احكام الشرع .

* ❊ (هامش) ❊

(٢٩)ينابيع المودة / القندوزى / ج ١ / ص ٦٩ .

(٣٠)حلية الاولياء / ج ١ / ص ٦٨ – دار الكتب العربية / بيروت / ط ٥ .

(٣١)البداية والنهاية / ابن كثير / ج ٧ / ص ٣٥٩ ، وراجع تاريخ الخلفاء / السيوطى / ص ١٧١ .

(٣٢)المصدر السابق / ج ٧ / ص ٣٧٣ ، الصواعق المحرقة / لابن حجر / ص ١٢٧ .

(٣٣)الطبقات الكبرى / ابن سعد / ج ٣ / ص ٣٣٩ ط ٢ دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٠٨ ه

إعداد الأمة وتهيئتها لتولى على (عليه السلام) الخلافة

ص: ١١٥

المبحث الثانى : إعداد الأمة وتهيئتها لتولى على (عليه السلام) الخلافة

لقد بدأت علمية إعدا الامة وتربيتها لقبول واستقبال خلافة على (عليه السلام) ، وقيادته للمسيرة الاسلامية بعد النبى (صلى الله عليه وآله) ، منذ وقت مبكر ، فعندها أمر النبى الاكرم بالانذار والتبليغ كما فى قوله تعالى) : فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين (٣٤) (

قال الطبرى : وكان قبل ذلک فى السنين الثلاث من مبعثه الى أن أمر باظهار الدعاء إلى الله ، مستسرا مخفيا أمره (صلى الله عليه وآله) ، وأنزل عليه) : وانذر عشيرتک الاقربين(٣٥) (

ثم أخرج الطبرى رواية عن عبد الله بن عباس عن على بن أبى طالب ، قال : (لما نزلت هذه الاية على رسول الله (صلى الله عليه وآله) (وانذر عشيرتک الاقربين (دعانى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال لى يا على إن الله أمرنى

* (هامش) *

(٣٤)الحجر (٣٥) . ٩٤ / الشعراء(*) . ٢١٤ /

ص: ١١٦

أن أنذر عشيرتى الاقربين ، فضقت بذلک ذرعا ، وعرفت أنى متى أباديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاءنى جبريل ، فقال يا محمد إلا تفعل ما تؤمر به يعذبک ربک ، فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة ، وأملا لنا

عسل من لبن ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى اكلمهم وابلغهم ما امرت به ، ففعلت ما امرنى به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه ، فيهم أعمامه أبو طالب والحمزة والعباس وأبو لهب . . .) وتكررت المحاولة فلما

أكلوا وشربوا قال الطبرى) : فتكلم رسول الله فقال : يا بنى عبد المطلب إنى والله ما اعلم شابا فى العرب جاء قومه بافضل ما جئتكم به إنى جئتكم بخير الدنيا والاخرة ، وقد امرنى الله تعالى أن ادعوكم إليه فايكم يؤازرنى على هذا الامر على أن

يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم . قال : فأحجم القوم عنها جميعا ، فقلت وأنى لاحدثهم سنا ، وارمضهم عينا . . . أنا يا نبى الله أكون وزيرك عليه ، فاخذ برقبتى ثم قال : إن هذا اخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال – أى على (عليه السلام) – فقام القوم يضحكون ، ويقولون لابى طالب قد امرك أن تسمع لابنك وتطيع. (٣٦) (. . .

ومن هذه الرواية يتضح لنا أن أول عملية لاعداد الذهنية من

* ❊ (هامش) ❊

(٣٦)تاريخ الطبرى / ج ٣ / ص ٢١٨ / ٢١٩ / المطبعة الحسينية بمصر / الطبعة الاولى راجع تفصيل الرواية واسانيدها فى ما نزل من القرآن فى على / لابى نعيم / جمع الشيخ المحمودى / ص ١٥٥ .
وراجع تفسير الخازن / ج ٣ ص ٣٧١ طبعة دار المعرفة / بيروت

أجل قبول على ، وصيا وخليفة ، قد تمت فى الوسط الخاص ، (عشيرة النبى المقربين) وكان ذلك جنبا إلى جنب مع التبشير برسالته والاعلان عن نبوته وبعثته صلوات الله وسلامه عليه.

ثم اتخذت عملية إعدا الامة منحى آخر : فقد بدا القران يتنزل تباعا ، وبدأ على يقاتل دونه مع رسول الله وبدأت الايات القرآنية تنزل أيضا فى الاشادة بفضل على (عليه السلام) وبفضائله ، لاجل نفس الهدف.

وقد أخرج ابن عساكر على ما نقله السيوطى) : أنه ما نزل فى احد من كتاب الله كما نزل فى على(٣٧) (. . .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس أيضا) أنه نزلت فى على ثلاثمائة آية. (٣٨) (

ونورد هنا بعض الايات التى ذكر غير واحد انها نزلت فى على ، وتدخل فى هذا الاطار اى تؤشر حقيقة إعدا الامة وتربيتها فى هذا الاتجاه:

أ – جاء قوله تعالى) : إن الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا (٣٩) (أخرج غير واحد من الحفاظ باسانيد مختلفة أنها نزلت فى على ، لان مامن مسلم إلا ولعلى فى

❊ (هامش) ❊

(٣٧)تاريخ الخلفاء / ص ١٧١ ، الصواعق المحرقة / لابن حجر / ص ١٢٧ .

(٣٨)المصدران السابقان .

(٣٩)مريم (*) . ٩٦ /

قلبه محبة. (٤٠) (. . .

فعن البراء بن عازب قال : (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلى بن أبى طالب يا على قل اللهم اجعل لى عندك عهدا ، واجعل لى فى صدور المؤمنين مودة . فأنزل الله) : إن الذين امنوا (. . . قال : نزلت فى على. (٤١)

ب – قوله تعالى) : هذان خصمان اختصموا فى ربهم . (٤٢) (. . . عن على (عليه السلام) قال : أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة ، قال قيس : وفيهم نزلت) هذان خصمان اختصموا فى ربهم (. . . قال : (هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة. (٤٣) (. . .

ج – قوله تعالى) : ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال . (٤٤) (. . . روى غير واحد أن عبد الله ابن مسعود كان يقرأ هذه الاية هكذا) : وكفى الله المؤمنين القتال (بعلى بن ابى طالب. (٤٥)

* ❊ (هامش) ❊

(٤٠)راجع ما نزل من القرآن فى على / لابى نعيم الاصبهانى / جمع الشيخ المحمودى / ص ١٣٠ وما بعدها .

(۴۱)شواهد التنزيل / الحسكانى / ج ۱ / ص ۳۶۰ / ۳۶۱ ط ۱ .
(۴۲)سورة الحج / آية ۱۹ .
(۴۳)التاج الجامع للاصول / ج ۴ / ص ۱۸۱ وقال رواه الشيخان (البخارى ومسلم) كتاب التفسير .
(۴۴)الاحزاب . ۲۵ /
(۴۵)ما نزل من القرآن فى على / لابى نعيم / تحقيق المحمودى / ص ۱۷۲ . وراجع

ص: ۱۱۹

د – قوله تعالى) يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . (۴۶) (ذكر غير واحد من الحفاظ والمحدثين عن ابن عباس قال : هو على بن ابى طالب (عليه السلام) خاصة. (۴۷)

هـ – قوله تعالى) : والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا . (۴۸) (وورد بعدة : طرق أنها نزلت فى على ، وذلك أن نفرا من المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون عليه. (۴۹)

إن مما يؤكد أن هذه الايات قد جاءت ونزلت لبيان منزلة على (عليه السلام) وعظمة شخصيته ، ودوره الكبير فى حياة الرسالة والرسول ، وأن المؤمنين يلزمهم وعى هذه الحقائق والانقياد إليها ، مما يؤكد ذلك هو ما جاء من الاحاديث النبوية فى تثبيت هذه المعانى.

فقد روى الصحابى سعد بن أبى وقاص قال : امرنى معاوية أن

* ❊ (هامش) ❊
ما نقله عن ميزان الاعتدال الذهبى / ج ۲ / ص ۳۸۰ ترجمة عياد بن يعقوب تحت الرقم ۴۱۴۹ .
(۴۶)التوبة . ۱۱۹ /
(۴۷)ما نزل من القرآن فى على / لابى نعيم / ص ۱۰۴ وراجع الهامش فقد نقل روايات باسانيد مختلفة وراجع ايضا : الصواعق المحارقة / لابن حجر / ص ۱۵۲ .
(۴۸)الاحزاب . ۵۸ /
(۴۹)راجع تفسير الكشاف / ج ۳ / ص ۵۵۹

ص: ۱۲۰

أسب أبا التراب ، فقلت : أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله فلن أسبه ، لان تكون لى واحدة منهن أحب إلى من حمر النعم ، قد خلفه رسول الله فى بعض مغازيه فقال على : يا رسول الله خلقتنى مع النساء والصبيان ، فسمعت رسول الله

يقول : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبوة بعدى (٥٠) وسمعته يقول يوم خيبر : لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، قال : فتطاولنا لها (٥١) فقال : ادعو لى عليا فاتى به ارمد فبصق

فى عينه ، ودفع الراية إليه ، ففتح الله عليه ، ولما نزلت هذه الاية) : فمن حاجک فيه من بعد ما جاءک من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (٥٢) (دعا رسول الله عليا

وفاطمة وحسنا وحسينا ، وقال : اللهم هؤلاء أهلى (رواه مسلم (٥٣) والترمذى . (٥٤) إن هذه الرواية – على طولها التى رواها سعد تؤكد امورا منها:

أ – نزول آية المباهلة – وهى الاية المذكورد فى نص الرواية – فى

* ❊ (هامش) ❊

(٥٠)حديث المنزلة سبق تخريجه ، راجع الجامع للاصول / ج ٣ ص ٣٣٢٣ رواه الشيخان والترمذى .

(٥١)راجع : الرواية عن أبى هريرة وفيها قال عمر : ما أحببت الامارة الا يومئذ فتساورت لها (. . . التاج الجامع للاصول / ج ٣ / ص ٣٣١ / رواه الشيخان . ٥٢) آل عمران / ٦١ .

(٥٣)صحيح مسلم / ج ٤ / ص ١٨٧٣ .

(٥٤)صحيح الترمذى / ج ٥ / ص ٥٩٦ ، وراجع الصواعق المحرقة / لابن حجر / ص ١٤٣ .

وراجع الرواية فى التاج الجامع للاصول / ج ٣ / ص ٣٣٣

على وزوجته البتول وولديهما الحسن والحسين (عليهم السلام. (

ب – تؤكد أن هؤلاء هم أهل البيت دون سواهم . (٥٥) وبالتالى نفهم أنهم هم المقصودون فى آية التطهير التى هى قوله تعالى . . .) : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا(٥٦) (وفى آية التطهير هذه يتبين لنا نزاهة على وأمانته ، وسمو ذاته وطهارته ، بل عصمته.

ومن هنا يبدأ الاستحقاق لان يحتل على مقام الخلافة والولاية وقيادة المسيرة ، قال الراغب الاصفهانى : (لا يصلح لخلافة الله ولا يكمل لعبادته وعمرة أرضه إلا من كان طاهر النفس قد ازيل رجسها ونجسها ، فللنفس نجاسة كما إن للبدن نجاسة ،

لكن نجاسة البدن قد تدرك بالبصر ونجاسة النفس لا تدرك إلا بالبصيرة . . . وإنما لم يصلح لخلافة الله إلا من كان طاهر النفس لان الخلافة هى الاقتداء به تعالى على الطاقة البشرية ، ومن لم يكن طاهر القول والفعل فكل إناء بالذى فيه يرشح . . (٥٧) (.

* ❊ (هامش) ❊

(٥٥)التاج الجامع للاصول / ج ٤ / ص ٢٠٧ قال روى الترمذى ومسلم عن عمر بن ام سلمة ربيب رسول الله : لما نزلت هذه الاية – التطهير – فى بيت ام سلمة دعا رسول الله فاطمة وحسنا وحسينا وعليا ، فجللهم بكساء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت ام سلمة ، وأنا معهم يا رسول الله . قال : أنت على مكانك ، وأنت على خير .

(٥٦)الاحزاب . ٣٣ /

(٥٧)الذريعة إلى مكارم الشريعة / ابن المفضل الراغب الاصفهانى / ص ٢٩ مراجعة وتعليق طه عبد الرؤوف سعد / ط ١ / مكتبة الكليات الازهرية – القاهرة / ٣٩٣ ه ، وراجع استفادة

)إن مذهباً يثبت نفسه من كتب خصمه أحق أن يتبع ، وإن مذهبا يحتج عليه بما فى كتبه فيلجأ للتأويل والتحوير أحق أن يتجنب عنه(

ص: ١٢٢

يتبين لنا من ذلك أن القرآن الكريم بعد أن أشاد بفضل على وبفضائله ، ارتقى به إلى منزلة التزكية المطلقة (التطهير) ثم صعد به إلى منزلة على غاية من الاهمية إذ جعل نفس على كنفس النبى محمد (صلى الله عليه وآله) كما هو صريح آية المباهلة.

وتأسيسا على ذلك ، أكد النبى (صلى الله عليه وآله) مرارا وكرارا قائلا) : على منى وأنا من على (٥٨) (وعندما حاول بعض الناس الشكوى من على بغية التشويش على مقامه هذا ومنزلته ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (ما تريدون من على . . . ؟ رددها ، ثم قال) إن عليا منى وأنا منه. (٥٩) (

ومن أجل قطع الطريق أمام المتككين بهذه المنزلة الرفيعة التى أنزل الله تعالى فيها عليا ، ولترسيخ وتأكيد ولايته وخلافته بعد النبى ، فى كل ما يهم المسلمين من أجل ذلك ، جاء قوله تعالى) : إنما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة

ويوتون الزكاة وهم راكعون (٦٠) (فقد ذكر الزمخشرى أن هذه الاية المباركة نزلت فى على (عليه السلام) حين ساله سائل ، وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه. (٦١)

ولإزالة الالتباس ، وقطعا لدابر اى تأويل فى المراد بالولى

* ❊ (هامش) ❊

العصمة من آية التطهير / الاصول العامة للفقة المقارن / محمد تقى الحكيم / ص ١٧٤ .

(٥٨)التاج الجامع للاصول / ناصف / ج ٣ / ص ٣٣٤ وراجع تاريخ الخلفاء / السيوطى / ص ١٦٩ .

(٥٩)صحيح الترمذى / ج ٥ / ص ٥٩٤ .

(٦٠)المائدة. ٥٥ /

(٦١)الكشاف / الزمخشرى / ج ١ / ص ٦٤٩ قال فى الهامش فى تخريج الحديث : رواه ابن ابى حاتم من طريق سلمة بن كهيل : قال : تصدق على بخاتمه وهو راكع فنزلت / اى الآية

وتشخيصه فى مثل هذه الموارد صرح النبى (صلى الله عليه وآله) فى أكثر من مناسبة قائلا) : إن عليا منى ، وأنا منه ، وهو ولى كل مؤمن بعدى(٦٢) (. . .

ولتأكيد ولاية على ، ودوره الهام بالنسبة إلى الرسالة الاسلامية قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (على منى أنا من على ولا يؤدى عنى – أى بصفته نبيا رسولا – إلا أنا وعلى(٦٣) (. . .

ثم رسخ هذا المفهوم عمليا جهارا نهارا فى قصة تبليغ سورة براءة ، كما أخرج هذه الرواية الامام احمد بن حنبل فى مسنده عن أبى بكر الصديق أنه قال : (إن النبى بعثه ببراءة إلى أهل مكة ، فسار ثلاثا ثم قال لعلى : الحقة ، فرد على ابا بكر

وبلغها ، فلما قدم أبو بكر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال : يا رسول الله حدث فى شئ قال : ما وجدت فيک إلا خيرا ، لكننى امرت أن لا يبلغ إلا أنا أو رجل منى(۶۴) (. . .

وفى الكشاف : روى أن ابا بكر لما كان ببعض الطريق – أى لتبليغ سورة براءة – هبط جبرائيل (عليه السلام) ، فقال : يا محمد : لا يبلغن رسالتک إلا رجل منک ، فارسل عليا. (۶۵) (. . .

وأخيرا ختم القرآن الكريم هذا الموضوع الحيوى والمهم أى

* ❊ (هامش) ❊

ولابن مردويه عن سفيان الثورى عن ابن سنان عن الضحاک عن ابن عباس مثله . وراجع أيضا أسباب النزول / الواحدى / ص ۱۳۴ قال : نزلت فى على.

(۶۲)صحيح الترمذى / السابق – باب فضائل الامام على وراجع التاج الجامع للاصول / ج ۳ / ص ۳۳۵ .
(۶۳)المصدر السابق.

(۶۴)مسند الامام أحمد بن حنبل / ج ۱ / ص ۳ – طبعة دار صار وراجع : تفسير الكشاف الزمخشرى / ج ۲ / ص ۲۴۳ ، وراجع الرواید أيضا فى صحيح الترمذى / ج ۵ / ص ۵۹۴ .
(۶۵)الكشاف / المصدر السابق

ص: ۱۲۴

عملية الاعداد الفكرى والتربوى فى آخر ما نزل منه فى آية التبليغ ثم فى أية إكمال الدين بعد حديث الغدير المشهور ، وعنده لم يعد هناک عذر لمعتذر.

وقصة الغدير – كما تناقلها الرواة مع بعض الاختلاف – هى كما يأتى : لما رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع ، نزل عليه الوحى مشددا) يا ايها الرسول بلغ ما انزل إليک من ربک وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمک من الناس (۶۶) (قحط الركب عند غدير خم ، وجمع الناس فى منتصف النهار ، والحر شديد ، وخطب فيهم قائلا ، كانى قد دعيت فأجبت وإنى تركت فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الاخر ، كتاب الله وعترتى – وفى رواية مسلم(۶۷)

وأهل بيتى – فانظروا كيف تخلفونى فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض . . . ثم قال : إن الله مولاى ، وأنا مولى كل مؤمن ، ثم أخذ بيد على فقال : من كنت مولاه فهذا وليه – فهذا مولاه – (٦٨) اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، واخذل من خذله ، وانصر من نصره . . . (٦٩) وأدر

* ❊ (هامش) ❊

(٦٦)المائدة٦٧ / ، قال الواحدى فى أسباب النزول / ص ١٣٥ ، نزلت فى غدير خم .

(٦٧)صحيح مسلم / ج ٤ / ص ١٨٧٤.

(٦٨)التاج الجامع للاصول / ج ٣ / ص ٣٣٣ .

رواية عن زيد بن أرقم عن النبى (صلى الله عليه وآله) وهى فى صحيح الترمذى أيضا / ج ٥ / ص ٥٩١.

(٦٩)مسند الامام احمد بن حنبل / ج ٤ / ص ٢٨١ ، ٣٦٨ دار صادر

وراجع تفسير ابن كثير / ج ١ ص ٢٢ .

وراجع سنن ابن ماجة / المقدمة / ج ١ / باب ١١ وراجع تحقيقات وافية شافية فى أسانيد الحديث الغدير / العلامة الامينى .

وراجع البداية والنهاية / لابن كثير أيضا بعدد طرق / ج ٧ / ص ٣٦٠ / ٣٦١

الحق معه حيثما دار (٧٠) . . . وقد أعقب هذا الحدث الكبير نزول الوحى مرة اخرى بقوله تعالى . . .) : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا. (٧١) (. . .

وقد ورد فى بعض الروايات أن الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) قال بعد نزول هذه الاية فى ذلك اليوم المشهود وهو يوم الثامن عشر من ذى الحجة (٧٢) يوم الغدير قال) : الله اكبر ، الحمد لله على اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الرب برسالتى وبالولاية لعلى بعدى. (٧٣) (

وفى رواية لاحمد (فلقيه عمر بن الخطاب – أى لقى عليا – بعد ذلك ، فقال له هنيئا أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة . (٧٤) (. . .

ومما يؤسف له حقا أن بعض الناس كان لا يرضيهم أن يعطى على مثل هذه الامتيازات والمقامات ، وكان بعض الناس يكثر لغطه واعتراضه عندما يخص الرسول القائد عليا بذلك ، فيضطر الرسول الاكرام صلوات الله عليه وآله أن يذكرهم بأنه رسول رب العالمين

* ❊ (هامش) ❊

(٧٠)التاج الجامع للاصول / ج ٣ / ص ٣٣٧ . وراه مستقلا) : رحم الله عليا اللهم ادر الحق معه حيث دار . (. . .

(٧١)المائدة. ٣ /

(٧٢)راجع الاتقان / السيوطى / ج ١ / ص ٧٥ فى رواية نزول الاية يوم الغدير وأنه يوم الثامن عشر من ذى الحجة . وراجع أسباب النزول / الواحدى / ص ١٣٥.

(٧٣)مناقب أمير المؤمنين / الحافظ محمد بن سلمان الكوفى القاضى / من أعلام القرن الثالث / تحقيق الشيخ المحمودى / ج ١ / ص ١١٩ مجمع إحياء الثقافة الاسلامية / قم / ١٤١٢ ه.

(٧٤)مسند الامام أحمد بن حنبل / ج ٤ / ص ٢٨١ ، وقد أشهد على جمعا من الناس ، فشهد له ثلاثون أنهم سمعوا هذا الحديث من رسول الله ابن كثير / البداية والنهاية / ج ٧ / ص ٣٦٠

الذى يصدع بما يؤمر وأنه) : وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى. (٧٥) (

ومن الشواهد على ذلك ما رواه الترمذى وحسنه ، عن جابر ابن عبد الله قال : (دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليا يوم الطائف فانتجاه – أى كلمة سرا – فقال الناس : لقد طال نجواه مع ابن عمه ، فقال الرسول : ما انتجيته ولكن الله انتجاه . . .) (٧٦) .

وعن ميمون عن زيد بن ارقم قال : (كان لنفر من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أبواب شارعة فى المسجد قال : فقال رسول الله يوما سدوا هذه الابواب إلا باب على قال : فتكلم فى ذلك الناس ، قال ، فقام رسول الله فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإنى امرت بسد هذه الابواب ، إلا باب على ، وقال فيه قائلكم ، وإنى والله ما سددت شيئا ولافتحته ، ولكنى امرت بشئ فاتبعته. (٧٧) (. . .

وهكذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كلما يخص عليا دون سواه بأمر ، يصرح لهم ، ويبين للامة أن ذلك إنما هو بأمر من الله تعالى.

وقد حدث ذلك فى إرسال على (عليه السلام (لتبليغ سورة براءة بدلا من ابى بكر ، وحدث ذلك يوم المناجاة فى الطائف ،

* ❊ (هامش) ❊

(٧٥)النجم . ٤ - ٣ /

(٧٦)راجع صحيح الترمذى / ج ٥ / ص ٥٩٧ ،
وراجع البداية والنهاية / لابن كثير / ج ٧ ص ٣٦٩ ،
وراجع التاج الجامع للاصول / ج ٣ / ص ٣٣٦.

(٧٧)مسند الامام احمد / ج ٤ / ص ٣٦٩ ،
وراجع تاريخ ابن كثير / ج ٧ / ص ٣٥٥

وحدث ذلك يوم الغدير ، إلى غير ذلك.

ومما يلاحظ أيضا أن المواقف الحاسمة فى تاريخ الاسلام ، وفى حياة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) ، بما فيها ما يتصل بحماية التجربة الاسلامية ومستقبلها ، يلاحظ أن الرسول القائد كان يقدم عليا ويدعوه شخصيا دون غيره لحسم تلك

المواقف ودفع الخطر الداهم ، حدث ذلك فى معركة بدر الكبرى ، إذا كان على صاحب الراية ، وقتل من صناديد المشركين من قتل ، وحدث ذلك يوم أحد إذ قتل على طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين ، روى الطبرى قال : لما قتل على بن ابى

طالب أصحاب الالوية ، أبصر رسول الله جماعة من المشركين فقال لعلى : احمل عليهم ، ففرق جمعهم ، وقتل عمرو الجمحى ، ثم أبصر رسول الله (صلى الله عليه وآله) جماعة من المشركين ، فقال (جبريل) يا رسول الله إن هذه للمواساة

، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله : (إنه منى وأنا منه ، فقال (جبريل) وأنا منكما ، قال الطبرى ثم سمعوا صوتا يهتف) :لا سيف الا ذو الفقار ❊ ولافتى إلا على. (٧٨) (

ويكفى ما نقله سعد بن أبى وقاص على ما روى الشيخان فى يوم خيبر . (٧٩)

* ❊ (هامش) ❊

(٧٨)تاريخ الطبرى / ج ٢ / ص ٢٥ وص ٦٥ – ٦٦ – طبعة المكتبة العلمية – بيروت .

(٧٩)رواية سعد أخرجها الشيخان / راجع هامش ٥٤ – ٥٥

ص: ١٢٨

وقد يكون من المناسب أن نذكر هنا ما أخرجه الطبرانى وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : ولقد عاتب الله أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى غير موضع وما ذكر عليا إلا بخير . (٨٠)

* ❊ (هامش) ❊

(٨٠)تاريخ الخلفاء / السيوطى / ص ١٧١

مدخلية اختصاص على بالمعرفة القرآنية فى الاعداد لخلافته

ص: ١٢٩

المبحث الثالث : مدخلية اختصاص على بالمعرفة القرآنية فى الاعداد لخلافته

فى ضوء ما تقدم ، لا حظنا أن هناك علاقة وارتباطا من نوع خاص بين على (عليه السلام) والقرآن الكريم ، نشأت هذه العلاقة ، ونمت ، وتطورت حتى انتهت – على حد تعبير الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) – إلى أن) : القرآن مع على وعلى مع القرآن ، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض. (٨١) (. . .

وكذلك انتهت أيضا إلى أن عليا سيقاتل على تأويل القرآن كما كان قد قاتل على تنزيله (٨٢) ، فما هى مدخلية ذلك فى عملية الاعداد الفكرى والتربوى لخلافة على ؟

نستطيع أن نؤكد أن الرسول القائد صلوات الله وسلامه عليه نفسه قد قام بتنمية وترسيخ مثل هذه العلاقة ، وبأمر من الله تعالى كما كان يحدث دائما . ويظهر أن هدفا كبيرا يلزم الوصول إليه عبر

* ❊ (هامش) ❊

(٨١)راجع : الصواعق المحرقة / لابن حجر / ص ١٢٣ وراجع تاريخ الخلفاء / السيوطى / ص ١٧٣ .

(٨٢)ينابيع المودة / القندوزى البلخى / ج ٢ / ص ٥٨ / ط ١ منشورات الاعلمى / بيروت .

وراجع الصواعق المحرقة / لابن حجر / ص ١٢٧

تلك الاجزاءات والخطوات العلمية والعملية . ونستطيع أن نبين ذلك الهدف فى ضوء الملاحظات الآتية:

أولا : إن منطق الشريعة الخالدة الكاملة يقتضى تأمين الوصول إلى فهم القرآن ومعرفة تفسيره وفقه أحكامه ، بصفته المصدر الاساس (٨٣) لهذه الشريعة الخالدة وإن تحكيم القرآن فى البلاد والعباد هو ما أمرنا الله تعالى به ، إذ جاء فيه) : أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون . (٨٤) (ومقتضاه أن نحتكم الى القرآن فى كل صغيرة وكبيرة . وأن نكفر بحكم الجاهلية الذى هو حكم الاهواء.

كما نهانا الله تعالى أيضا أن نتحاكم إلى الطاغوت ، فقال) : الم تر إلى الذين يزعمون أنهم امنوا بما انزل إليک وما انزل من قبلک يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد امروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن تضلهم ضلالا بعيدا. (٨٥) (

وقد جعل القرآن الكريم هنا اختيار التحاكم إلى غير ما انزل الله وإلى غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحاكما إلى الشيطان (٨٦) الذى يسير بهم إلى الضلال حتما ، ثم اكد القرآن الكريم أن الاحتكام الى غير ما انزل الله هو فسق وظلم وكفر ، قال تعالى . . .) ومن لم

❊ (هامش) ❊

(٨٣)كون القرآن المصدر الاول والاساس للشريعة الاسلامية محل اجماع الملة الاسلامية .

راجع : الاصول العامة للفقة المقارن / العلامة محمد تقى الحكيم / ص ١٠١ .

(٨٤)المائدة / ٥٠ (٨٥) . النساء / ٦٠ (٨٦) . الكشاف / الزمخشرى / ج ١ / ص ٥٢٥

يحكم بما انزل الله فاولئک هم الفاسقون (٨٧))
وقال تعالى . . .) : ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئک هم الظالمون (٨٨))
وقال تعالى . . .) ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئک هم الكافرون(٨٩))

وقد بعث نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) لامحاء صفحة الظلم والفسق والكفر.

إذن فبحسب منطق القرآن ، يكون عدم الرجوع إلى أحكام القرآن التى أنزلها الله تعالى ، يعنى الاحتكام إلى الطاغوت(٩٠) ، وعليه فإذا كان ذلک يتطلب بالضرورة الوصول إلى حكم الله تعالى الذى أنزله فى القرآن الكريم ، فلا بد من افتراض من

هو مؤهل ومعد إعدادا أمينا لتحقيق ذلک الامر الالهى ، وتلک الارادة الربانية ، وليس ذلک بالضرورة إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو من هو منه يؤدى عنه (٩١) ، ويبلغ عنه ، ومؤهل مثله ، ومعد لذلک الغرض.

ثانيا : إن العلماء قد وقع بينهم الاختلاف الكثير ، وقد حصل ذلک منذ وقت مبكر ، بالاخص فى الاقضية التى تهم الناس ، وتتصل بحياتهم ،

❊ (هامش) ❊
(٨٧)المائدة . ٤٧ /
(٨٨)المائدة . ٤٥ /
(٨٩)المائدة . ٤٤ /
(٩٠)الطاغوت : يطلق على كل رئيس فى الضلالة ، وعلى كل من عبد من دون الله ، ويبطلق على الكافر والشيطان والاصنام /مجمع البحرين / الطبرسى / ج ١ / ص ٢٧٦ ، باب الالف اوله ط.

(٩١)راجع قصة تبليغ سورة براءة / مسند الامام احمد بن حنبل / ج ١ / ص ٣ طبعة دار صادر ، وراجع نص الحديث فى الصواعق لمحرقة / لابن حجر / ص ١٢٢

وليس إلا بسبب عدم فقهم بالقرآن.

وقد تحدث الامام على عن هذه المسالة فى معرض ذمه لمثل هذا الاختلاف مع وجود القرآن بين أظهرهم ، فقال (عليه السلام) : (ترد على أحدهم القضية ، فى حكم من الاحكام ، فيحكم فيها برأيه ، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره ، فيحكم

فيها بخلاف قوله ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذى استفضاهم فيصوب آراءهم جميعا ، وإلَههم واحد ! ونبيهم واحد ! وكتابهم واحد ! أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه ؟ ! أم نهاهم عنه فعصوه ؟ ! أم أنزل الله دينا ناقصا ماستعان بهم على

اتمامه ؟ ! أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى ؟ ! أم أنزل الله دينا تاما فقصر الرسول (صلى الله عليه وآله) عن تبليغه وأدائه ، والله سبحانه وتعالى يقول : (. . . ما قرطنا فى الكتاب من شئ) (٩٢) (. . . ونزلنا عليك

الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة . . .) (٩٣) ، وذلك أن الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه – أى القرآن – لا اختلاف فيه فقال سبحانه (. . . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (٩٤) . وإن القرآن ظاهره أنيق . . .) (٩٥) إذن

* ❊ (هامش) ❊

(٩٢)الانعام / ٣٨ .

(٩٣)النحل / ٨٩ .

(٩٤)النساء / ٨٢ .

(٩٥)راجع النص فى الخطبة ١٨ / نهج البلاغه ضبط الدكتور صبحى الصالح / ص ٦٠ / ٦١ ،

وراجع : الصواعق المحرقة / ص ١٥٢ ، نقل عن الامام زين العابدين فى دعاء له قائلا) : فالى من يفزع خلف هذه الامة وقد درست أعلام هذه الملة ، ودانت الامة بالفرقة

بموجب هذا وبمقتضاه لا بد من افتراض إعداد أحد مؤهل لفقه القرآن.

ثالثا : إن اختصاص على بالعلوم القرآنية ، وبمعرفة القرآن ظاهره وباطنه محكمة ومتشابهه ، خاصه وعامه ، وإن قدرته الفذة على فهم آياته وفقه احكامه ، امر متسالم عليه عند علماء الصحابة – كما نوهنا. (٩٦) –

وقد ساعدت النصوص النبوية ، على تأكيده وبيانه – كما ذكرنا – ويؤيده أيضا ، ما أورده أصحاب التفسير والاثر عن على (عليه السلام) ومن طرق اخرى : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (يا على إن الله عز وجل أمرنى أن ادينک واعلمک لتعى وانزلت هذه الاية) وتعيها اذن واعية (٩٧) (فأنت أذن واعية لعلمى. (٩٨) (. . .

وقد جاء عن على (عليه السلام) إيضا قوله . (ذلک القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ، ولكن اخبركم عنه . . . إلا وإن فيه علم ما يأتى ، والحديث عن الماضى ، ودواء دائكم ، ونظم

هامش * (

والاختلاف يكفر بعضهم بعضا ، والله تعالى يقول) : ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات (فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكم إلا أبناء أئمة الهدى ، ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ، ولم يدع الخلق سدى من غير حجة ،

هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وبرأهم من الافات وافترض مودتهم فى الكتاب. (. . .

(٩٦)راجع الصفحة (١١٣) فى الملحق .

(٩٧)الحاقة . ١٢ /

(٩٨)راجع : ما نزل من القرآن فى على / لابى نعيم / تحقيق المحمودى / ص ٢٦٦ وقد ذكر المحقق فى الهامش أسانيده .

وراجع الدر المنثور / السيوطى / ج ٦ / ص ٢٦٠ منشورات المرعشى

أمركم. (٩٩) (. . .

وهكذا يصرح الامام على ويؤكد بان هذا القرآن بما انطوى عليه من هذه المطالب الجليلة والمعانى العميقة من شفاء الادواء الاجتماعية ، وانتظام امور الحياة بكل جوانبها ، كل ذلک لا يكون بمقدور أحد أن يصل إليه ، أو يفقهه إلا هو ، وإلا عن طريقه .

وهكذا يتضح لدينا أنه ليس هناک أحد مؤهل لفقه القرآن ومعد لتحقيق الامر الالهى وتنفيذ الارادة الربانية بازالة الظلم والفسق والكفر غير على بن أبى طالب حصرا . كما هو مقتضى النصوص والوقائع.

وهو الافتراض المنطقى والمعقول جدا لتفسير الاجراءات العلمية والعملية التى اتخذها الرسول القائد (صلى الله عليه وآله)

بإفراد على وتخصيصه دون غيره بالعلوم القرآنية والمعارف القرآنية والاحكام القرآنية كما صرحت النصوص المتواترة.

وأخيرا يقتضى الموقف أن نعالج تساؤلا يثور بالضرورة ، أو هو طالما أثير مرارا وهو : إذا كانت كل تلك الاجراءات والخطوات العلمية والعملية قد اتخذت من أجل تولى على بن أبى طالب الخلافة وقيادة المسيرة بعد الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) فلماذا لم يكن هناك عهد مكتوب بصورة جازمة قاطعة ليس فيه عذر لمعتذر ولا تأويل لمتأول ؟ (١٠٠) !

* ❊ (هامش) ❊

(٩٩)نهج البلاغه ص ٢٢٣ / خطبة (١٥٨ .)

(١٠٠)هذا السؤال اثير) المراجعات (بين العلامة شرف الدين والشيخ سليم البشيرى شيخ

وجوابه : إن النصوص التى أوردناها ، والروايات المتضافرة التى تصرح ببيان الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) ولاية على ووزارته ، وخلافته ، وإمرته من بعده ، فى مواقف لا تحصى كثرة ، ومناسبات لا تعد مما لم يحظ به امر دينى

أو دنيوى ، ومما لم ينل من اهتمامه صلوات الله وسلامه عليه ما ناله مثل هذا الامر ، حتى انتهى الى الاعلان الرسمى يوم الغدير المشهود ، وإلى التصريح به مرارا ، كما اشرنا إليه – وكما ستجده فى البحث الذى بين يديك للشهيد الصدر رضوان

الله تعالى عليه – فضلا عما اقتضاه منطق الاشياء ، ومنطق الشريعة الخالدة الكاملة ، إن ذلك كله فيه الكفاية لمن القى السمع وهو شهيد.

ومع ذلك كله فقد أراد الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) أن يختصر على الامة المعاناة ، وأن يكرمها بألطاف العناية الربانية فيجنبها العثرات وأسباب الضلال فقال صلوات الله وسلامه عليه وهو على فراش مرضه وفى آخر ساعات حياته

الشريفة) : هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى ابدا (١٠١) (. . . وقد كان عنده جمع من كبار الصحابة ، نعم أراد أن يكون ذلك عهدا مكتوبا يشهده جمعهم ، إلا أن الرزية كل الرزية قد حدثت – على حد تعبير ابن عباس – عندما حيل بين النبى الاكرم وبين كتابة الكتاب على ما أخرجه البخارى قال :

* ❊ (هامش) ❊

الجامع الازهر .

(١٠١)راجع الطبقات الكبرى / لابن سعد / ج ٢ / ص ٢٤٢ طبعة دار بيروت للطباعة / ١٩٨٥

ص: ١٣٦

)لما اشتد بالنبى وجعه قال : ائتونى بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده . قال عمر : إن النبى غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا . فاختلفوا وكثر اللغط . قال – أى النبى – قوموا عنى ولا ينبغى عندى التنازع . فخرج ابن عباس يقول : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه. (١٠٢) (. . .

ولعل من المناسب أن نذكر هنا محاورة رواها ابن عباس جرت بينه وبين عمر بن الخطاب فى أوائل عهده بالخلافة ، وملخصها أن عمر قال له) : يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتها . . . هل بقى فى نفس على شئ من أمر الخلافة ؟ قلت : نعم ، قال : أيزعم أن رسول الله نص عليه ؟ قلت : نعم ، فقال عمر ، لقد كان فى رسول الله من أمره ذروة من قول ؟ لا يثبت حجة ، ولا يقطع عذرا . . ولقد أراد فى مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقا وحيطة على الاسلام . . . فعلم رسول الله ما فى نفسى فأمسك(١٠٣) (. . .

وسواء صحت أم لا ، فإن هناك ما يؤيد هذا المسعى من الخليفة عمر فى أكثر من مناسبة لاحقا ، وقد صرح مرة كما نقل الطبرى عنه : (إن قومكم يكرهون أن تجتمع فيكم – والخطاب لابن عباس أيضا – النبوة والخلافة . (١٠٤) (. . .

والظاهر أن ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) للكتابة والعهد

* ❊ (هامش) ❊

(١٠٢)صحيح البخارى / ج ١ / ص ٣٧ ، كتاب العلم – باب كتابة العلم ، وراجع ج ٨ / ص ١٦١ كتاب الاعتصام . طبعة اوفسيت عن طبعة دار العامرة – استانبول – دار الفكر بيروت.

(١٠٣)شرح نهج البلاغه / لابن أبى الحديد / ج ٣ / ص ٩٧ . دار الكتب العربية الكبرى / مصر . (١٠٤) راجع : تاريخ الطبرى / ج ٣ / ص ٥٧٧ / طبعة دار الكتب العلمية – بيروت.

ص: ١٣٧

المذكور قد يكون لاعتباريين والله العالم:

الأول : هو وقوع الاختلاف والتنازع واللغط فى الدار عندما إراد (ص) كتابة الكتاب – العهد – إلى الحد الذى وصل إلى اتهامه صلوات الله وسلامه عليه بأنه يهجر – كما فى رواية (١٠٥) أو غلبه الوجع كما فى رواية اخرى – وهذا اتهام خطير يمس أصل النبوة وصدق الرسالة.

ثم إن الامر قد كان بينه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مرارا وكرارا كما وضحنا . فليبق إذن الاختيار ، ولتبق القضية للامتحان والابتلاء.

الثانى : إن النبى الاكرم صلوات الله وسلامه عليه قد اتخذ احتياطا لمثل هذه الحالة الطارئة ، إذ قد جهز جيش أسامة بن زيد ، وأمر بانفاذه على كل حال ، وقد بلغ من حرصه صلوات الله وسلامه عليه على إنفاذه مبلغا عظيما ، إذ تذكر الروايات أن الرسول الاعظم مع بدء مرضه واشتداده لم يكن يشغله شئ عن محاولة انفاذ جيش أسامة (١٠٦) ،

وننقل من رواية ابن سعد فى الطبقات ما يثبت ذلک ، فقد قال – بعد أن ذكر تجهيز جيش أسامة – لما كان يوم الاربعاء بدأ برسول الله المرض . . . فلما أصبح يوم الخميس عقد لاسامة لواء بيده ثم قال : اغز باسم الله وفى سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله . . .

قال ابن سعد فخرج بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الاسلمى ، وعسكر بالجرف – وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة – مع وجوه

* ❊ (هامش) ❊

(١٠٥)راجع : النهاية فى غريب الحديث والاثر / لابن الاثير / ج ٥ / ص ٢٤٢ / مادة هجر / تحقيق الطناحى .

(١٠٦)الكامل فى التاريخ / لابن الاثير / ج ٢ / ص ٢١٨ طبعة دار صادر

المهاجرين والانصار ، فيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة . . . فتكلم قوم وقالوا : أيستعمل علينا هذا الغلام على المهاجرين الاولين ؟ فغضب الرسول (صلى الله عليه وآله) غضبا شديدا ، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة ، فصعد المنبر ،

وقال) : أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ولئن طعنتم فى امارة أسامة لقد طعنتم فى إمارة أبيه من قبله ، وأيم الله إن كان للامارة لخليقا ، وإن ابنه من بعده لخليق للامارة إن كان لمن أحب الناس إلى ، وانهما لمحلان

لكل خير ، فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم . . ثم نزل صلوات الله عليه ، فدخل بيته ، وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول . . . وثقل على الرسول المرض ، وجعل يقول : انفذوا بعث اسامة . (١٠٧) (. . .

ويظهر من كل تلك المواقف والكلمات وتطورات الاحداث أن الرسول الاعظم إنما أراد من جملة ما أراد:

- ١ تهيئة الاجواء الفكرية والنفسية من جهة تأمير أسامة على وجوه المهاجرين والانصار ، فيكون قبوله سابقة لقبول تولى على الامرة والخلافة ، فلا يعترض معترض بكونه أصغر سنا من بعضهم.

- ٢ أراد أيضا تهيئة الاجواء السياسية والامنية وذلك بإبعاد عناصر المعارضة المحتملة (١٠٨) ، ليتولى على بن أبى طالب مهام الخلافة التى كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتولى رعايتها والتخطيط

* ❊ (هامش) ❊

(١٠٧)الطبقات الكبرى / ج ٢ / ص ٢٤٨ / ٢٥٠ .

(١٠٨)المراجعات / العلامة عبد الحسين شرف الدين / ص ٤٧٢

والسهر من أجل بلوغها ، كما توضح لنا ذلك.

ومع كل ذلك فقد جرت الامور والاحداث على غير ما أراده رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقد أراد أن يرفع عن الامة المعاناه ، وأراد أن يجنبها ويلات تجربة الخطا والصواب ، أراد أن تتمسك الامة بالكتاب الكريم ، وبالعترة الطاهرة لتسلم من التيه والضلال.

وهكذا ترك أمر (العهد القاطع الجازم المكتوب) لتطل الامة عرضة للامتحان فى مثل هذه القضية الخطيرة ، وكما جرت السنن الالهية ، فقد قال تعالى) : الم * احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين. (١٠٩))

نعم أراد الله تعالى ذلک ، كما أراد رسوله الكريم أن يكون إيمان من يؤمن منهم بمن ولاه عليهم وجعلة خليفة من بعده إيمانا راسخا ، واعقتادهم بأحقيته اعتقادا عن تدبر ، وتشيعهم له تشيعا مخلصا ، حتى تستمر المسيرة فى تنفيذ الارادة الالهية تحت

قيادته المباركة ، ويتحقق إزالة الظلم والفسق والكفر من الوجود) . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى

* ❊ (هامش) ❊

(١٠٩)العنكبوت / ١ – ٣

ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلک فاولئک هم الفاسقون. (١١٠) (

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا

محرم الحرام / ١۴١۴ ه د . شراره

❊ (هامش) ❊

(١١٠)النور(*) . ۵۵ /

.....تم.....